الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA
Faculté : des lettres et des langues
Département de langue et littérature Arabe

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستر

(تخصص: أدب جزائري)

الحِجاج في خُطب البشير الإبراهيمي
-دراسة في الآليات البلاغية واللّغوية-

مقدمة من قبل: خولة ناصري

تاريخ المناقشة: جويلية 2019

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
عبد الغاني خشة	أستاذ مُحاضر أ	رئيسًا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
نصر الدين شيحا	أستاذ مساعد أ	مشرفًا ومقررًا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
نور الدين مكفة	أستاذ مُساعد أ	فـــاحصًا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2018 - 2019

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أولاً وآخرًا، والحمد لله ظاهرًا وباطنًا.

والحمد لله الذي ألهمنا الصبر والعزيمة على إنجاز هذا العمل

وأشكره تعالى على نعمه التي لا تنتهي

وأحمده على ما وهبني من التّوفيق والسّداد.

ثم شكر دائم لا ينقطع للوالدين الكريمين.

كما أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي المشرف

"نصر الدين شيحا"

على مساعدته لي، جزاه الله خير جزاء.

وأشكر جميع الأساتذة الكرام الذين ذللوا لنا طريق العلم

لهم خالص التقدير.

كما لا أنسى أنْ أزف كل معاني التقدير والاحترام إلى أعضاء لجنة المناقشة.

وأشكرهم على توجيهاتهم وتصويباتهم برسالتي المتواضعة.

وفي الأخير أقدم شكري إلى من أعانني في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

خولة ناصري

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرّحمن الرّحيم والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اكتسى الخطاب أهمية كبيرة قديمًا وحديثًا، وقد تعددت أوجهه بين ما هو شفوي وما هو مكتوب، والخطاب الحجاجي مُوظف فيهما باستمرار وهو الرّكيزة الأساسية في إيصال الأفكار، وتحقيق المقاصد بين "المتكلم والمتلقي"، ونجده يتضمن كل وسائل الإثارة والإقناع.

ودراسة الخطاب الحجاجي يوغل به التّاريخ منذ القِدم، إذ يعود إلى الحضارة اليونانية (السوفسطايون، أفلاطون، أرسطو)، حيث استمد منه الدّارسون في مقاربتهم مجموعة من الظواهر المستجدة في الفكر الفلسفي واللّسانيات وعلم اللّغة وعلم النفس وغيرها...، فهو موضوع متشعب الروافد ومتعدد المنابع فتعددت آلياته وميادينه، وتنوعت خطاباته، إذ يمثل الحجاج الرّكن الأساس لفن الخطابة، بسبب حاجة هذه الأخيرة لمختلف الأدوات التي تُمكن الخطاب من التّأثير في المتلقي وتغيير قناعاته.

ورغبة منّي في الدّراسة والبحث في موضوع الحجاج اخترت مجموعة من الخطب "للبشير الإبراهيمي" من مدونته الموسومة بـــ "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، لأنّه يهدف من خلال خُطبه إلى إقناع المُتلقي من جهة، ومعالجة قضايا المجتمع من جهة أخرى، فجاء عنوان بحثي: "الحجاج في خطب البشير الإبراهيمي –دراسة في الآليات البلاغية واللّغوية".

وترجع أسباب اختياري لهذا الموضوع إلى:

- إعجابي الشدّيد بشخصية "الإبراهيمي" القوية وبأسلوبه الجزل الذي كلّما وقفت عنده انبهرتُ بسحر بيانه.

- قلّة الدّراسات التي خصت فن الخطابة من الزاوية الحجاجية العامة وخطب "البشير الإبراهيمي" بصفة خاصة بالتحليل والتمحيص، لذلك قمتُ باختيار هذه الدّراسة من أجل إبراز دور الآليات الحجاجية في إكساب النّص الحجاجي الإقناع والتّأثير.

أمّا عن أهداف الدّراسة فتتمثل في ما يلي:

- معرفة الدّرس الحجاجي.
- التّعرف على خصائص وأنواع الخطب وقضاياها عند "البشير الإبراهيمي".
- إبراز المقاصد الحجاجية في خطب "البشير الإبراهيمي".
- الوقوف على الآليات الحجاجية والدّور الذي تُؤديه في الخطاب الإقناعي.

وفي بحثنا هذا سنحاول أنْ نُجيب على الإشكاليات التّالية:

- ما هي دلالة الحجاج اللّغوية والاصطلاحية؟
- ما هي أهم القضايا التي طُرحت في خطب "البشير الإبراهيمي"؟
- فيما تتمثل الآليات الحجاجية التي وظّفها "البشير الإبراهيمي" في خُطبه؟ وإلى أي مدى تتكامل هذه الآليات لتحقق الإقناع؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات، فقد اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي، لوصف وتحليل الآليات الجحاجية.

وقد جاءت هذه الدّراسة وفق خطة تتكون من ثلاثة فصول، تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة.

وقد جاء عنوان الفصل الأول: "الحجاج في إطاره النظري"، وتناولنا فيه مفهوم الحجاج في المستوى المعجمي والاصطلاحي والضوابط وأهم الخصائص النص الحجاجي، وأيضًا أهم الآليات البلاغية واللّغوية من خلال إبراز دورها الحجاجي.

أمّا الفصل الثاني فقد عُنونَ بـــ: "فن الخطابة وقضاياها عند البشير الإبراهيمي" وقد خصصناه للحديث عن فن الخطابة لغة واصطلاحًا وأنواعها وخصائصها عند "الإبراهيمي"، وكذلك قضاياها المختلفة، وقد تنوعت هذه الخطب من دينية، سياسية وأدبية.

أمّا الفصل الثالث فقد خُصص للدّراسة التطبيقية وكان بعنوان: "آليات الحجاج في خُطب البشير الإبراهيمي"، وقد تضمنت عناصر العملية التخاطبية، لكلّ من المرسل والمرسل إليه والقصد، ثم استنباط أبرز الآليات البلاغية واللّغوية التي احتوتها خُطب "الإبراهيمي".

وختمنا بحثنا بخاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث.

وقد اقتضت الدّراسة أنْ نعتمد على مجموعة من المصادر والمراجع لإثراء دراستنا أهمها:

- المدونة التي طبقت عليها وهي "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، كتاب "عيون البصائر" لـــ "محمد البشير الإبراهيمي" و"إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية لـــ: "عبد الهادي بن ظافر الشهري"، وكتاب "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" لـــ "طه عبد الرحمن"، وغيرها من المصادر والمراجع التي لها علاقة بالبحث.

ولكن الذي يجب الإشارة إليه أنّ لهذه المحاولة صعوبات، تأتي في مقدتها ندرة المصادر والمراجع التي تناولت الآليات البلاغية، واللّغوية في الدّراسات الحجاجية؛ لأنّ

جُلّ هذه الدّراسات كان اهتمامها بالجانب البلاغي واللغوي بحت، وإغفالها للجانب الحجاجي الإقناعي.

وفي الختام أتقدم بكلمة شكر وعرفان للأستاذ المشرف "نصر الدين شيحا" الذي لم يبخل عليّ بنصائحه وإرشاداته لهذا البحث، فله كل الامتنان والتّقدير والاحترام.

والله ولي التوفيق.

الطالبة: خولة ناصري

الفصل الأول
الحِجاج في إطاره النظري

1- مفهوم الحِجاج.

1-1- لغــةً.

2-2- اصطلاحًا.

2- مفهوم الحِجاج في الفكر الغربي والعربي قديمًا.

3- مفهوم الحِجاج في الفكر الغربي والعربي حديثًا.

4- ضوابط وخصائص النّص الحِجاجي.

5- آليات الحِجاج.

تمهيد:

إنّ الاختلاف بين البشر في قدراتهم الذهنية والمعرفية والعلمية، وكذا في مستوياتهم الاجتماعية والذهنية والسياسية، وما إلى ذلك من هذه الاختلافات، ولّد بالضرورة تناقضات بين أفكارهم وتضاربات في آرائهم، ولما كانت الطبيعة الإنسانية طبيعة كلامية تخاطبية، اقتضت وجود علاقات تواصلية بين الإنسان وباقي جنسه، فهو يتواصل كي يقنع ويقتنع، في ظل جوّ يسوده الصراع الفكري والإيديولوجي في شتى الميادين، ومن هنا بزغ مصطلح الحجاج ومصطلحات أخرى في الحقل نفسه كالتحاج والتحاجج والاحتجاج والبرهنة والاستدلال... إلخ.

ومصطلح الحجاج لم يكن حديثًا، ولا وليد هذا العصر، بل هو مصطلح عريق تاريخيًا، ظهر منذ القدم وتعدّدت مفاهيمه ومعانيه المعجمية والاصطلاحية، كما تعدّدت آلياته وضوابطه وخصائصه.

1- تحديد مفهوم الحجاج:

1-1- الحجاج لغــةً:

ولمعرفة الأصول الأولى لمادة (ح .ج .ج) يجدر بنا أنْ نبحث في بطون أمهات الكتب والمعاجم اللغوية التي أطنبت، وأسهبت في هذا الجذر الثلاثي ، لكي يتسنى لنا ضبط دلالته.

جاء في لسان العرب لابن منظور: «الحجج القصد، حجّ إلينا فلان أي قدم ، وحجه يحجه حجا: قصده، ورجل محجوج أي مقصود وقد حجّ بنو فلان فلانًا إذا أطالوا

الاختلاف إليه»[1]، ويقول في موضوع آخر: «الحجة: البرهان، وقيل الحجة ما دوفع به الخصم... والحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة... والتحاج وجمع الحجة حجج وحاجة ومحاجة و حجاجًا، نازعه الحجة... والحجة الدليل والبرهان وهو رجل محاجج أي جدل»[2].

فعلى هذا يكون الحجاج النزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين والحجج فيكون مرادفًا للجدل بين معنيي اللفظين هو المخاصمة والمنازعة.

قبل أنْ نُعرّج إلى الدلالة الاصطلاحية، لا بأس أن نستأنس بمعاجم لغوية أخرى حتى ننزل هذا المصطلح بما يجمله من دلالات ومفاهيم، قال "الزمخشري" : «احتج على خصمه بحجة شهباء وبحجج وحاج خصمه فحجّه، وفلان خصمه محجوج وكانت بينهما محاجة وملاجة»[3].

"فالزمخشري" قد حصر الحجاج في المخاصمة والمغالبة قصد الظّفَر، حيث يأتي كل من الحجاج والمحاجة بمعني الخصومة قصد المغالبة ، وهذا ما ذهب إليه ابن فارس في قوله: «حاججتُ فلانًا فحَجَجْتُهُ أي غلبته بالحجّة»[4].

والشيء الذي نلاحظه من خلال هذه التعريفات أنّ أصل الخصومة والمنازعة لا يستلزم عداوة ولا مقاتلة بل مدارها أساسًا على الاختلاف مع الطرف الآخر، لأنّ ظروف

1- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1990م، ص مادة [ح ج ج]، ص 326.

2- نفسه، ص 328.

3- الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود عمر)، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص 74.

4- ابن فارس (أبو الحسين أحمد)، مقاييس اللغة، ج2، تح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1399هـ/1979م، مادة "حج"، ص 29-31.

المنازعة ودواعي الصراع يقتضيان تصلبًا في الرأي مما يدفع إلى إقحام كل ما يملكه من الدلائل لكي يُفحم به الخصم.

وقدر وردت لفظة الحجاج والتّحاج في آيات كثيرة من القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الذِّي حَاجَّ إِبْرَاهِيم في رَبِّهِ﴾[1].

حيث يفسر الفعل حاج ذلك الجدال الذي دار بين إبراهيم عليه السلام والنمرود حول وجود إله واحد، أعظم، طالبًا من إبراهيم عليه السلام أدلة على وجود الرّب الذي يدعوا إليه ، قوله عزّ وجلّ : ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُونِي في الله وقَدْ هَدَاني﴾[2].

1-2- الحجاج اصطلاحًا:

منذ نهاية عقد الخمسينيات من القرن العشرين شهدت مباحث الدّراسات البلاغية صحوة نوعية فكانت الدّعوة لما سمي بالبلاغة الجديدة، هي محاولة لإقامة علم عام لدراسة الخطابات بأنواعها، فأصبحت تسعى لأنْ تكون علمًا واسعًا يشمل حياة الإنسان كلها في المجتمع، فهي محاولة لوصف الخصائص الإقناعية للنصوص، عملت اللسانيات والتداولية ونظريات التواصل على إيضاحها، فالمناهج اللسانية الحديثة التي تأثرت بها البلاغة تنظر إلى اللغة كنسق تتفاعل عناصره في إطار علائقي يرفض دراسة الكلمات في ذاتها وقد انبثق عن هذا كله البلاغة البرهانية الجديدة، وهدفها هو دراسة تقنيات الخطاب[3].

ولتحديد مفهوم الحجاج ينبغي مقارنته بمجموعة من المفاهيم التي اعتبرها الدّارسون مرادفات له ومن بين هذه المفاهيم: (البرهان، الاستدلال، الإقناع).

1- سورة البقرة، الآية 258.

2- سورة الأنعام، الآية 80.

3- ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، عالم الكتب، الأردن، ط1، 2014م، ص 60.

1-2-1- البرهنة:

تعتمد على «الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورًا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولاً إلى ألطف فكرة وأنفذها»[1].

وعلاقة الحجاج بالبرهنة تكمن على طبيعة الأمثلة و الحجج ، وترتبط بالاقتناع باكتشاف طريقة عرضها وتقنياتها بالإقناع، ولطبيعة العملية الحجاجية دور في تحديد نوع النص أو الخطاب, و هذا راجع للعملية البرهاني.

1-2-2- الاستدلال:

الاستدلال يرتبط بالحجاج حيث يمثل «سياقه العقلي أي تطوره المنطقي، ذلك أنّ النّص الحجاجي نص قائم على البرهنة فيكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي وتهدف إلى غاية مشتركة، ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس فإذا أعدنا النص الحجاجي إلى أبسط صورة وجدناه ترتيبًا عقليًا للعناصر اللغوية، ترتيبًا يستجيب بنية الإقناع»[2]. ومنه يكون الاستدلال مرتبط بالبرهنة من جهة، وبالإقناع من جهة أخرى.

1-2-3- الإقناع:

غاية المتكلم الحجاج «والإبداع يأتي في درجة ثانية [...] والإقناع بما هو "Persuasion"، إنما هو الوجه الغائم للحجاج و مرادفه الآخر، عبر مقولة المواضع المنطقية، وقد حاول العديد من الدّارسين وضع الفروق بينهما: أي بين الإقناع و الحجاج، وذلك أنّ الإقناع هو ما به يحاول الإنسان إقناع نفسه، في حين أنّ الحجاج هو ما به

1- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008م، ص 27.

2- ينظر: نفسه، ص ص 326، 327.

يحاول إقناع الآخر، وذلك بوسائط متنافرة ، منه ما يعود للغة وما توفره من بنى وأساليب ومفردات وتراكيب، وروابط مؤثرة حجاجيًا»[1].

ولهذا يفصل بين الحجاج والإقناع النص الخطابي نص إقناعي، ولكنه ليس نصًا حجاجيًا، ويطغى الحجاج الذي صوّره الإقناع في كل موضع كما يمكن فصل الحجاج والإقناع بالنظر إلى الحجج المعتمدة ذلك: «لأنّ الحجاج عملية اتصالية، تعتمد الحجة المنطقية بالأساس وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم»[2]. إضافة إلى وظيفة التأثير في هذه الحجج.

ولإحداث أثر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة، وهو ما يعبر عنه اللسانيون بالوظيفة الإيحائية (Conative) للكلام، وهو وضع لإقناع المتلقي بفكرة ما أو بحقيقة معينة عن طريق تقنيات مخصوصة، ويظهر ذلك أكثر في الخطاب الإشهاري، حيث يحاول الإشهار بمنتوج معين إقناع المتفرج واستمالته كزبون[3]، ويشترط في الإقناع البنية التي تكون «فيه بمنزل الدليل الذي بلغ درجة الوضوح يصير معها المتواصل به قادرًا على الظهور على خصمه، كما لو هذا الدليل الظاهر مستغنيًا بظهوره عن جانب الاستدلال فيه»[4].

وعليه فإنّ البرهان والاستدلال والإقناع هي مصطلحات تمثل وجوه الحجاج.

1- عز الدين الناجح، المفهوم من خلال الملفوظ الإشهاري الخطاب، دورة أكاديمية، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد 02، ماي 2007م، ص 271.

2- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار عربي للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م، ص 105.

3- ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم , ص 26-27

4- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص 136.

2- مفهوم الحجاج في الفكر الغربي والعربي قديمًا:

2-1- الحجاج في التراث الغربي:

لقد كان للحجاج حضور واسع في أذهان قدماء الغرب، خصوصًا الفلاسفة اليونانيين الذي كانوا السبّاقين إلى هذا المجال وأوّل من تحدث عن الحجاج وعن أسسه ومبادئه وآلياته المختلفة، وأبرز هؤلاء "أرسطو" و"أفلاطون".

2-1-1- الحجاج عند أرسطو:

قبل البدء تجدر الإشارة إلى تبويب كتاب الخطابة ثم إلى محتواه، فهو يتكون من مقدمة وثلاث مقالات:

المقدمة: وهي مدمجة في المقالة الأولى، حيث حدد فيها أرسطو طبيعة الخطابة وعلاقتها بالعلوم والفنون الأخرى، مثل الجدل والسياسة والأخلاق والشعر، وقسّمها حسب المقامات إلى استشارية وقضائية وتقويمية (مدح وهجاء).

المقالة الأولى: الأخلاق والأدلة المناسبة والوسائل الإقناعية الصناعية الخاصة بالخطابة القضائية.

المقالة الثانية: الأحوال النفسية المؤثرة في المخاطبين والنفسية الخطابية والمثال.

المقالة الثالثة: الأسلوب وترتيب أجزاء القول[1].

ويلحظ على هذا أنّ له علاقة بالحجاج «ولئن كان البلاغيون العرب القدامى تناولوا مفهوم الاستدلال في أبحاث البيان والمعاني وجعلوه في دائرة التشبيه والاستعارة والمجاز، وهذا ما نجده عن السكاكي فإنّ الاستدلال عند أرسطو تفكير عقلي يتم إنتاج العلوم

1- ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 1996، ص 271.

بواسطته، وهو الدعامة الأولى التي تأسس عليها دراسة الحجاج، فدراسته تأسست على دعامتين كبيرتين: الأولى يختزلها مفهوم الاستدلال والثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي»[1].

ومن هنا تجدر الإشارة إلى أنّ أرسطو كان تركيزه على صور الاستدلال الأكثر أهمية، المتمثلة في الصور القياسية التي يستشف منها الاستدلال بأنّه «قول مؤلف من أقوال إذا سلم به لزم عنها بالضرورة قول آخر»[2].

حيث يمكن استعمال «الاستدلال الحجاجي في الخطاب الفلسفي عامة والبلاغي خاصة بوصفه تلك المنهجية أو الطريقة العقلية التي سلكها الفيلسوف والبلاغي الناقد والمبدع أيضًا يهدف إرساء حقيقة معينة وما يقتضيه ذلك لإرساء من عمليات عقلية منطقية تدعم ذلك الطرح دعمًا حجاجيًا من جهة وأساليب إقحامية من جهة أخرى»[3].

ويُعرف "أرسطو" الخطابة بقوله: «الريطورية (*) قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة»[4]، وهذا ما نلاحظه في البلاغة العربية القديمة وعند علماء الكلام والأصوليون والمفسرين حتى يذكرون الإقناع والخطبة الاستدلال، وقد اهتم أرسطو بالاستدلال وبالحجج وهي عنده أنواع؛ أهم هذه الأنواع: «هي تلك القائمة على التعقيدات

1- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة نقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 36.

2- نفسه، ص 37.

3- نفسه، ص37.

(*) الريطورية: تعني الخطابة في اللغة اليونانية

4- أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الناشر وكالة المطبوعات، دار القلم، بيروت، لبنان، (دط)، 1979م، ص 90.

(الحجج) الصناعية التي قوم بها الحجاج بصناعتها ونحتها، اعتمادًا على معايير عقلية منطقية لا على معايير عاطفية وتوجيهية»[1].

والمقصور بتعقيدات الحجج التي يستعملها المتكلم والمحاجج أي يصنعها ويصوغها اعتمادًا على حالة المتلقي بمقدمات منطقية ويميز أرسطو بين نوعين من الحجج، صناعية وغير صناعية:

أمّا الصناعية فهي: «ما أمكن إعداده وتثبيته على ما ينبغي بالحيلة وبأنفسنا، فأما التصديقات التي تحتال لها بالكلام فإنها أنواع ثلاثة: فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسمته، ومنها ما يكون بتهيئة السامع واستدراجه نحو الأمر ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت»[2]، «وأمّا التصديقات غير الصناعية فهي تلك التي لا تكون بحيلة منا، لكن بأمور متقدمة»[3].

والملاحظ أنّ الأولى «تكون جاهزة يوفرها المقام العام للخطاب، وعلى الخطيب أو المحاجج أن يستعمل منها بقدر مقتضى الحال، فقد رأينا أنّ الحجج ينبغي أن تتناسب مع درجة التصديق أو الإنكار الحاصلين لدى المعنيين بالخطاب»[4].

ويذكر "أرسطو" أنواع الخطابة وغاية كل نوع، وأنواع السامع ومم يتركب الكلام والغاية منه، فيقول: «الكلام نفسه مركب من ثلاثة: من القائل، ومن المقول فيه، ومن

1- محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 41.

2- أرسطو طاليس، الخطابة، ص ص 09، 10.

3- نفسه، ص 10.

4- محمد سالم الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 47.

الذي عليه القول، والغاية إنما هي نحو هذا أعني السامع، فيكون الكلام الريطوري ثلاث أجناس، مشوري، مشاجري وتثبيتي»[1].

ونجده أيضًا يميز بين الحجج الخطابية، فمنها المشتركة والخاصة، وفي هذا يقول: «إذا كانت الحجج الفرعية والتي هي حجج مساعدة للخطيب على بناء حجاجة و توجهه، فإنّ الحجج المشتركة هي المؤسسة للحجاج بمختلف فروعه وأنواعه، وبالتالي تكون هذه الحجج أشمل من الأول، وتتضمنها، والحجج المشتركة في نظر أرسطو ثلاث الضمير والرأي والمثال، ولكنه يختزلها في الضمير، لأنّه الرأي مشمول في الضمير»[2].

ويُشير إلى أنّ كل من هذه الأنواع له استعمالاته و بلاغاته الخاصة.

2-1-2- الحجاج عند أفلاطون:

إنّ مشروع "أفلاطون" في الحجاج لا يمكن إدراكه إلاّ في ضوء ما تعرفه عن القيم الجامعة لفلسفته، قيم الجمال، الحق والخير، لذلك فقد قامت آراؤه الحجاجية على أسس مناهضة لحجاج وخطابة السوفسطائيين، فأفلاطون لم يُعالج الحجاج بما هو صناعة قول بقدر ما نظر إليه بما هو صانع للإنسان والمجتمع، ومن ثم كان منهجه في تقييم القول وأنواعه، منهج بحث في صلة هذا القول بتلك القيم التي نادى بها، أي قيم الجمال، الحق والخير[3]. ومعنى ذلك أنّ أفلاطون لا يهمه بلاغة القول أو شكله اللغوي فهو لا يعتبر بنية القول من قيم إنسانية، تفيد الإنسان بشكل خاص والمجتمع بشكل عام، وهذا ليس

1- أرسطو طاليس، الخطابة، ص ص 16، 17.

2- محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 46.

3- ينظر: هدى وصفي، في فن الحجاج والجدل، جامعة عين الشمس، كلية الألسن، القاهرة، 2002م، ص 22.

غريبًا عن أفلاطون كون فلسفته قائمة على المثالية المطلقة خاصة في ظل مشروعه الفلسفي المسمى "بالمدينة الفاضلة".

وبناء على مبادئه الفلسفية اعتبر أفلاطون القول السوفسطائي قول زئبقي أساسه الظن لا العلم، وقول إثباتي غير جدلي كونه لا يقوم على المساءلة، بل يُحاول أن يثبت حقائق دون إثارة نقاش حولها، فهو يهدف إلى إقناع الغير بالاعتماد على ما يوافق اللذة، لذة القائل لا لذة الخير، وبالتالي فالحجاج السوفسطائي حسب رأي أفلاطون هو حجاج استهواء بالنسبة للمقول إليه ولذة نفع بالنسبة للقائل[1].

إنّ التصور الأفلاطوني للبلاغة أو الخطابة يأخذ مجريين مختلفين: الأول يرى أنّ في البلاغة ضررًا بالمجتمع من خلال محاورته الشهيرة "جورجياس"، والثاني يقبل فيه القول البلاغي بشرط أنْ يكون قائمًا على الحوار الثنائي، وأنّ يكون المتخاطبين نِدّين متخصصين في نفس المجال المطروح، وكذا أنْ يكون خاليًا من أي نوع من أنواع السلطان القهرية ، وهو ما طرحه في محاورته "فيدر" في عام 410 ق.م[2].

2-2- الحجاج في التراث العربي:

نجد مصطلح الحجاج يتخلل ثنايا مؤلفات الأدباء العرب على السواء، ولاسيما بلاغيون أمثال "الجاحظ" و"ابن وهب" و"حازم القرطاجني".

1- ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، منوبة، جامعة تونس كلية الأدب، ص 68.

2- ينظر: محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وبيرلمان، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 2، أكتوبر ديسمبر 2011م، ص 23.

2-2-1- الحجاج عن الجاحظ:

ورد الحجاج عند "الجاحظ" بمعنى البيان، والذي يعرفه قائلاً: «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهَتْكَ الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنًا من كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[1]، فالبيان عند الجاحظ هو الكشف والإبانة عن المعنى، وذلك لأجل بلوغ غاية إفهام السامع وإقناعه واستمالته، اتجاه رأي أو سلوك أو فكرة ما، ولذلك فالمتكلم يجب أن يكون على معرفة بالبلاغة ليصل إلى التأثير في السامع «جماع البلاغة البصر بالحجة ومعرفة بمواضع الفرصة»[2].

فالبلاغة غرضها الإقناع والتأثير، ولا يتأتى ذلك إلاّ من خلال تبصر المتكلم بالحجج التي يدلي بها، ويعرف متى وكيف يستخدمها، ويعرف مقامات المخاطبين ويراعي أحوالهم، ولهذا يجعل الجاحظ البلاغة مرادفة للحجاج حينما يعرفها بأنها: «اسم جامع لمعانٍ كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون شعرًا ومنها ما يكون سجعًا وخطبًا»[3]، وهي أيضًا: «إظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق»[4].

1- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط7، 1418هـ/1998م، ص 76.

2- نفسه، ج1، ص 88.

3- نفسه، ج1، ص ص 115، 116.

4- نفسه، ج1، ص 220.

وقد ذم "الجاحظ" هذا النوع من الحجاج وأوضح أنّه مذهب غير محمود، وهو ما جعل الناس يمقتون الحجاج والبيان ويكرهونه، ولهذا وضع الجاحظ مجموعة من الصفات والمؤهلات للإقناع، يلخصها في الجدول التالي[1]:

المؤهلات والعوائق		صفات البيان وموضوعه		الغرض
المؤهلات	العوائق	الصفات	الموضوع	التأثير
- المنطق - الأحلام - العقول - الدهاء - الألسنة - التمييز - السياسة - لباس - التقوى	- العي - الحصر - ضيق - الصدر - توقف- - اللسان - اللثغ	- الإبلاغ - الإبانة - الإفصاح - الصحة - حسن - التفصيل	- الدعوة إلى مقالة - الدفاع عن نحلة - إبلاغ الرسالة - المنازعة	- استمالة القلوب - التصديق - ميل الأعناق - فهم العقول - التحريك - الاضطرار

فالبيان ليس موضعًا للخلاف، أمّا هذا المذهب الذي كرهه بعض الناس فقد كرهوه لما فيه من تعمية وإضلال عن الحق، أمّا البيان الذي يقوم على الوضوح والإفصاح والصحة وحسن التفصيل في الكلام، وأنْ يكون خاليًا من هاته العوائق، هذا هو المعنى الذي ينبغي ألاّ يختلف عليه اثنان.

وبهذا يكون "الجاحظ" قد برَّأ البيان والحجاج من التهم الموكلة إليه من قبل بعض الناص، محاولاً وضع نظرية للإقناع قائمة على مجموعة من المبادئ والأسس بما فيها من صفات الحجاج وأغراضه الحقيقية، حتى يكون الحجاج نزيهًا خاليًا من المغالطات والتشويهات.

1- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1999م، ص198.

2-2-2- الحجاج عند ابن وهب:

استخدم "ابن وهب" مصطلح "الاحتجاج" الذي اعتبره أحد فنون النثر، وهذا لقوله: «أمّا المنثور فليس يخلو من أنْ يكون خطابة أو ترسلاً، أو احتجاجًا أو حديثًا، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه»[1]. فالاحتجاج عنده هو نوع من أنواع النثر، شأنه في ذلك شأن الخطابة والرسائل والأحاديث وما إلى ذلك من أصناف النثر المختلفة، فهو بهذا يساوي بين الخطابة والاحتجاج باعتبارهما جنسين نثريين، إلاّ أنّه لكل منهما موضعه الذي يستخدم فيه «فالخطب تستعمل في إصلاح ذات البين، وإطفاء نار الحرب وحمالة الدماء والتشييد للملك، والتأكيد للعهد وفي عقد الأملاك وفي الدعاء إلى الله –عزّ وجل- وفي الإشادة بالمناقب، ولكل ما أريد ذكره ونشره وشهرته في الناس، وفي الاحتجاج على من زاغ من أهل الأطراف وذكر الفتوح، وفي الاعتذارات والمعاتبات، وغير ذلك مما يجري في الرسائل والمكاتبات»[2].

كما يجعل ابن وهب الاحتجاج ضمن باب الجدل «فأمّا الجدل والمجادلة، فهما قول يقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات وفي الحقوق والخصومات وفي التسول والاعتذارات ويدخل في الشعر وفي النثر»[3].

ومعنى كلامه هذا أنّ الاحتجاج هو بمثابة وسيلة من الوسائل التي يستخدمها الجدل، في مواضع الاختلاف بين المذاهب والإيديولوجيات والمعتقدات الدينية أو المعرفية

1- أبو الحسين إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، عابدين، مصر، ط1، (دت)، ص 150.

2- نفسه، ص 150.

3- نفسه، ص 176.

وغيرها، وهو يجعل الجدل أعم من الاحتجاج إذ أنّه يدخل في الشعر والنثر معًا، في حين الاحتجاج لا يكون إلاّ في النثر فقط.

ويُقسم "ابن وهب" الجدل حسب غاياته التي يرمي إليها إلى جدل محمود وجدل مذموم «فأمّا المحمود، فهو الذي يقصد به الحق، ويستعمل في الصدق وأمّا المذموم فما أريد به المماراة والغلبة وطلب الرياء والسمعة»[1]. فالجدل المحمود ما كان هدفه محمودًا منشودًا والمذموم ما كان هدفه مذمومًا وباطلاً، وهو في تقسيمه هذا يوافق نظرة الجاحظ وكلاهما متأثرين بالتقسيم الجدلي الأرسطي.

ويذكر "ابن وهب" قيمة وأهمية الاحتجاج، التي أقر وأجمع عليها أصحاب النهى القدامى، فيقول: «وقد أجمعت العلماء وذووا العقول من القدماء، على تعظيم من أفصح عن حجته وبيّن عن حقه واستفاض من عجز عن إيضاح حقه وقصر عن النيام بحجته»[2]. وإلى جانب هذه الفائدة التي يحققها الاحتجاج للمتكلم، يبين ابن وهب إلزاميات تحقق نجاعة الجدل «وحق الجدل أن تبنى مقدماته بما يوافق الخصم عليه وإنْ لم يكن نهاية الظهور، وليس هذا سبيل البحث، لأنّ حق الباحث أنْ يُبين مقدماته بما هو أظهر الأشياء في نفسه، وأثبتها لعقله لأنّه يطلب البرهان ويقصد لغاية التبيين والبيان»[3].

فالمجادل في نظر "ابن وهب" يجب عليه أنْ ينطلق من حقائق ثابتة ظاهرة وبينة يُؤمن من بها المتلقي إيمانًا يقينيًا، لأنها ستكون بمثابة البراهين والحجج التي سيدعن بها رأيه، فعالية المُجادل هي التبيين والبيان أي الفهم والإفهام الذي يوصل إلى الإقناع، وهو في هذا المقام لا يختلف كثيرًا عن الأفكار الحجاجية التي جاء بها الجاحظ.

1- أبو الحسين إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص 177.

2- نفسه، ص 177.

3- نفسه، ص 177.

2-2-3- الحجاج عند حازم القرطاجني:

يعدّ "حازم القرطاجني" مصطلح الإقناع عمادًا للخطابة، في مقابلة التخييل الذي هو عماد للشعر، واعتبر كلا من الخطابة والشعر صناعتين تندرجان تحت علم البلاغة، فيقول في هذا الصدد: «لما كان علم البلاغة مشتملاً على صناعتي الشعر والخطابة، وكان الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني ويفترقان بصورتي التخييل والإقناع، وكان لكلتيهما أن تخيل وأنْ تقنع في شيء من الموجودات الممكن أن يحيط بها علم إنساني، وكان القصد في التخييل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده»[1]، ومعنى هذا الكلام أنّ الشعر يحقق مقصده الحجاجي عن طريق التخييل، في حين أن الخطابة تحققه عبر صورة الإقناع، وهنا يكمن الفرق بين الصناعتين (الخطابة والشعر) أمّا وجه الشبه بينهما فيكمن في المعاني وموقعها في النفوس، فكلاهما أي الخطابة والشعر يؤثر بمعانيه في نفوس السّامعين إمّا بالإيجاب فيقودهم إلى فعل شيء أو اعتقاده، وإمّا بالسلب فيقودهم إلى تركه واعتقاده.

فالتخييل إذن في نظر "حازم القرطاجني" هو وسيلة من وسائل التأثير التي يستخدمها الشعر، و خير دليل على ذلك هو قوله في تعريف ماهية الشعر, حيث يقول: «الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتُحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له»[2].

1- حازم القرطاجني (أبي الحسن)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربي للكتاب، تونس، (دط)، 2008م، ص ص 18، 19.

2- نفسه، ص 63.

3- مفهوم الحجاج في الفكر الغربي والعربي حديثًا:

3-1- الحجاج في الفكر الغربي الحديث:

بعدما أُلْبِس الحجاج لباس السلب وصار منبوذًا في نظر العديد من الباحثين لزمن طويل، وذلك لاهتمامه بالمغالطة وتشويه الحقائق، وتصوير الباطل في صورة الحق، وتصوير الحق في صورة الباطل، جاء العصر الحديث حافلاً بدراسات أعادت الاعتبار للحجاج وأزالت عنه هذه المسيئات، وذلك بإعادة إحياء وبعث التراث الإقناعي القديم، وإقامة نظريات جديدة على أنقاض البلاغة القديمة.

3-1-1- الحجاج عند بيرلمان وتيتيكاه (Perlman et tyteca):

لقد عرّف "بيرلمان وتيتيكاه" (Perlman et tyteca) الحجاج تعريفات عدّة في مواضع مختلفة من أهمها قولهما «مجموعة من الأساليب أو التقنيات التي تقوم في الخطاب بوظيفة وهي حمل المتلقي على الإذعان بما يُعرض عليه أو الزيادة في حجم هذا الإذعان»[1].

وقولهما في موضع آخر متحدثين عن غاية الحجاج: «غاية كل حجاج أنْ يجعل العقول تذعن بما يطرح عليها من آراء، أو أنْ تزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) أو هو ما وفق على الأقل في جعل السّامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة»[2].

---

1 - Perlman et tyteca, traité de l’argumentation, édution de l’université de Bruxelles, 5eme édition, 1992, P 11.

2- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ج1، جامعة منوبة، تونس، ط1، 2001م، ص 27.

وقولهما أيضًا في موضع آخر من كتابهما المعنون بـــ "مصنف في الحجاج" سنة 1958م: «موضوع نظرية الحجاج هو درس التقنيات الخطابية التي بدورها تدفع أو تحمل بالإذعان إلى التسليم لما يعرض عليها من أطروحات أو الزيادة في حجم ذلك التسليم»[1].

يُفهم من هذين التعريفين أنّ بيرلمان وزميله يُنزلان الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره، وصلة هذا العمل بالخطابة الأرسطية واضحة لكن المؤلفين لم يكتفيا بالتقليد، حيث «ركزا على صناعة الجدل من ناحية وصناعة الخطابة من ناحية أخرى، فإنما حرصا كل الحرص على جعل الحجاج أمرًا ثالثًا مفارقًا لهما رغم اتصاله بهما»[2].

وعليه فإنّ هذا التّصور للحجاج يظل مختلفًا عن الخطابة والجدل، لذلك يجمعه بين التأثير النظري والتأثير السلوكي العملي، فهو خطابة جديدة بالفعل، أمّا غاية كل حجاج حسب بيرلمان وتيتيكاه فهي: «جعل العقول تسلم بما يطرح عليها من أفكار أو تزيد في حجم ذلك التسليم، فأقوى حجاج ما وفق في جعل شدّة الإذعان تقوي درجتها لدى السّامعين»[3].

يُفهم من هذا الكلام أنّ إذعان العقول بالتّصديق من كل حجاج لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان، الذي هو الغاية من كل حجاج، فأقوى حجة عليه هي تلك التي تنجح في تقوية حدّة الإذعان عند من يسمعها، ونستشف أيضًا أنّ الحجاج نظرية

1 - Perlman et tyteca, Traité de l’argumentation, P 05.

2- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، ص 22.

3 - Perlman et tyteca, Traité de l’argumentation, P 59.

مطابقة البلاغة، وهذا ما أكدّه ابن الأثير في قوله: «مدار البلاغة كلّها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم»[1].

وهذا يُوحي لنا بوجود جذور أولى لهذه النظرية في تراثنا، وما على المجد البحث والتنقيب في بطون أمهات الكتب والمصادر اللغوية، لإيجاد هذه المقاربات، من ثم الإشادة بهذا الزخم الفكري والنظريات التي توصّل إليها القدامى.

ونتعرض لقسميْ الحجاج بحسب نوع جمهور المتلقين: «فالأول: هو الحجاج الإقناعي (L'argumentation persuasive) والثاني: هو الحجاج الإقتناعي (L'argumentation convaincante) الأول غايته إذعان الجمهور الخاص، ولا يتحقق إلاّ بمخاطبة الخيال والعاطفة... في حين الإقتناع (La conversion) هي غاية كل حجاج»[2].

أي أنّ بيرلمان ميّز بين الإقناع والاقتناع، فالأوّل يكون من قِبل الغير، والثاني يكون من المرء من تلقاء نفسه، أو بعبارة أخرى دون تدخل الغير، ففي هذه الحالة يكون قد أقنع نفسه بأفكاره الخاصة وفي حالة الإقناع فإنّ الغير هم الذين يقنعونه، وهذا هو هدف الحجاج حسب ما نص عليه بيرلمان، كما عدّ أيضًا أنواعًا عدّة من الحجاج على أنها لا تعدّ حجاجًا، ومن ثم نلمح تقلّص حدود الحجاج عنده خصوصًا إذا علمنا أنّه حصر التقنيات الحجاجية في نوعين من الطرائق:

- النوع الأول: يقوم على طرائق الوصل (Procèdes de l'iaisons.).
- النوع الثاني: يقوم على طرائق الفصل (Procèdes de dissociations).

1- ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، حققه وشرحه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1983م، ص 64.

2 - Perlman, L'empire rhétorique et argumentation, édution librairie philosophique, Paris, 1977, P 31.

ويُقصد بالنوع الأول الآليات التي تقرّب بين العناصر المتباينة، وتمكن من إقامة روابط علائقية بينها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نجد أحد الباحثين العرب المحدثين يرى أنها «تتيح بذلك قيام ضرب من التضامن بينها لغاية إبراز تلك العناصر في بنية واضحة»[1].

والنوع الثاني هو عبارة عن «التقنيات التي تستخدم بهدف تفكيك اللحمة الموجودة بين عناصر تشكل كلا لا يتجزأ وغالبًا ما تستخدم هذه التقنيات في تفكيك الأبنية الحجاجية»[2].

ومفاده أن الطرائق الانفصالية، تفكك الأبنية الحجاجية ذلك لأسباب دعا إليها الحجاج، كما يُبنى الحجاج القائم على كسر وحدة المفهوم بالفعل بين عناصره المتضامنة والمتراصة مباشرة.

بالإضافة إلى هذا قام الباحثان بتحديد مجموعة من المنطلقات الحجاجية هي بمثابة نقطة انطلاق للاستدلال، من هذه المنطلقات نذكر ما يلي[3]:

- الوقائع (Les faits): وتتضمن كل ما هو مشترك وعام عند جميع الناس، فهي بمثابة حقائق أو مسلمات قد تكون مشاهد معاينة وقد تكون مفترضة.

- الحقائق: وتتعلق بالنظريات العلمية أو التصورات الفلسفية أو الحقائق الدينية المتعالية عن التجربة.

1- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 35.

2- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 127.

3- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج وتطبيقات، ميسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م، ص ص 308-312.

- الافتراضات (Les présomptions): وهي كالحقائق والوقائع في طابعها العمومي المشترك، ولكنها أقل قوة في الإقناع، كونها تحتاج إلى عناصر أخرى تكملها.

- القيم (Les valeurs): وهي الأساس الذي يعول عليه في إذعان السامع، والقيم نوعان: مجرد كالعدل، والحق ومحسوسة كالوطن مثلاً.

- الهرميات (Les hierarchies): بما أنّ القيم لها درجات ومراتب فإنها تخضع للهرمية، فالجميل درجات، مثلاً الإنسان أعلى درجة من الإنسان.

- المعاني أو المواضع (Les lieus): وهي مقدمات عامة يستخدمها المتكلم لبناء القيم وترتيبها، فهي بمثابة مخازن للحجج والمواضع أنواع[1]:

- مواضع الكم: وهي أنّ تميز بين الأشياء ينسب كمية كأن تقول الكل أفضل من الجزء.

- مواضع الكيف: وهي عكس الكم من ناحية أنها تستمد قيمتها من خاصية وحدانيتها كمثل صوت الحق الذي يعلى عليه مهما كان عدد خصومه.

- مواضع أخرى: كمواضع الترتيب التي تقر بأفضلية السابق على اللاحق مثلاً، ومواضع هذه المنطلقات هي بمثابة مقدمات يبني المتكلم عليها حججه وبراهينه ليحثث الإقناع ويكسب تصديق المتلقي له، وهي بالنسبة للباحثين شروطًا أساسية لابدّ من توفرها في المسار الحجاجي للخطاب كي يكون ناحجًا في الإقناع، إلى جانب الوسائل أو التقنيات الخطابية التي ركزا عليها وأَوْلُوهَا أهمية قصوى لتأديتها الإقناع والتأثير فهي تعدّ الخادم الأول للحجاج. وهذه لمحة وجيزة لمفهوم الحجاج عند "بيرلمان وتيتيكاه".

1- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج وتطبيقات، ص 312.

3-2- الحجاج في الفكر العربي الحديث:

لقد عني باحثوا العرب المحدثين –خصوصًا المغاربة منهم- بالحجاج وتقنياته وميادينه المختلفة، وأولوه أهمية فائقة عكستها مؤلفاتهم وآثارهم، من أبرز هؤلاء الباحثين نجد الباحث المغربي الدكتور "طه عبد الرحمن "و"حمادي صمودي".

3-2-1- طه عبد الرحمن:

يعتبر طه عبد الرحمن من الدّارسين العرب الذين عالجوا مسألة الحجاج، بوصفه أبرز آلية لغوية، يستخدمها المرسل للإقناع ويبنى فعل الإقناع عنده بصفة دائمة على افتراضات سابقة بشأن عناصر السياق خصوصًا المرسل إليه، والخطابات السابقة والخطابات المتوقعة[1]، و الحق أنّ إستراتيجية الإقناع تستخدم لأغراض نفعية، إذْ يعمد المرسل إلى الظفر بإقناع المرسل إليه (الجمهور المتلقي) بواسطة (الإيطوس) كما يرى "طه عبد الرحمن" «أنّ الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية انطلاقًا من أنّه لا خطاب بغير حجاج»[2].

ومن هنا ينطلق في تعريف الخطاب تعريفًا خاصًا يبنى على قصدين معرفيين هما: «قصد الإدعاء وقصد الاعتراض، أمّا قصد الادعاء فهو: الاعتقاد الصريح للخطاب لما يقول من نفسه، تمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، إذن فالمدعي هو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب الاستدلال على قوله»[3]، وقصد الاعتراض يكون من المخاطب الذي ينهض بواجب المطالبة بالدليل على قول المدعي، ومن هنا يصح أنْ يكون

1- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 444.

2- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 213.

3- نفسه، ص 225.

المنطوق به خطاب حق أي يتوفر الادعاء والاعتراض والحجاج الذي يعرفه: «إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[1].

فالحجاج في نظره هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل فيها اللغة ويتجسد من خلالها الإقناع، ومن ثم يكون الفهم والإفهام على حدّ قول الجاحظ، والحجاج بآلياته وطرائقه وأنواعه المختلفة طريقة جدّ ناجعة في دراسة مختلف الخطابات، كما يقول في موضع آخر: «وللحجة وجهان تختص بهما يتمثل الأول في إفادة الرجوع والقصد إذ الحجة مشتقة من فعل حجّ الذي يعني رجع فتكون الحجّة أمرًا نرجع إليه أو نقصده إلاّ لحاجاتنا إلى العمل به... والثاني يتمثل في إفادة الغلبة، ذلك أنّ الفعل حجّ يدل أيضًا على معنى غلب فيكون مدلوله هو إلزام الغير بالحجة»[2].

ومن خلال هذا التعريف للحجاج يظهر أنّ طه عبد الرحمن يُركّز على المفهوم اللغوي للحجاج ويرى أنّ له وجهين: فالأول هو القصد والثاني يتمثل في الغلبة بالحجة وهو لا يبتعد كثيرًا عن تصور القدامى للحجاج .

فصنف "طه عبد الرحمن" في كتابه "اللسان والميزان" الحجاج لثلاثة أنواع هي:

3-2- 1-1-الحجاج التجريدي:

هو «إثبات بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان , علما بأن البرهان هو الاستدلال يعني ترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها

1- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 226.

2- نفسه، ص 137.

واستعمالاتها»[1]، وهذا يعني توظيف الحجة للبرهنة على صحة مقدمة نتيجتها معلومة لدى السامع لكن يحاول المتكلم الزيادة والتأكيد على صحتها في ذهنه.

3-2-1-2- الحجاج التوجيهي:

والتوجيه يختص به المحاجج وهو طريقة يوصل بها أدلته إلى غيره «وهو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث ألقاؤه لها، ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليها، فنجده يولي أقصى عناية إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة غير أنّ قصر اهتمامه على هذه المقصود والأفعال الذاتية يقضي به إلى اناسي الجانب العقلاني من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعًا بحق الاعتراض عليه»[2]. وهذا النوع تدعمه نظرية أفعال الكلام والتي ترد الأفعال إلى القصد.

3-2-1-3- الحجاج التقويمي:

«وهو إثبات الدعوى بالاستشهاد إلى قدرة المستدل على أن يجرد نفسه ذات ثانية بنزلها منزلة المعترض على دعواه، فها هناك لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب واقفًا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل تعدت ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أو متلقي لما يلقي، فيبني أدلته أيضًا على مقتضى ما يتعين المستدل له أنْ يقوم به مسبقًا استفساراته واعتراضاته ومستحضرًا مختلف الأجوبة، ومستكشفًا إمكانات تقبلها وإقناع المخاطب بها»[3].

1- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 226.

2- نفسه، ص 227.

3- نفسه، ص 228.

وهذا للوصول إلى الهدف ومقابلة المعترض بما يجب في الوقت المناسب، وهكذا فإنّ المستدل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه، مع مراعاة كل المستلزمات التخطابية من قيود تواصلية وحدود تعاملية.

3-2-2- الحجاج عند حمادي صمودي:

بدأ حمادي صمودي دراسته للحجاج من ذلك الفريق البحثي الذي شُكِلَ لتقصي بلاغة الحجاج في التقاليد الغربية، ويأتي في مقدمة هذه الأعمال كتابه بعنوان "عن نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، إذ جمع فيه بين عدد من النظريات هي على التوالي، الحجاج عند أرسطو، الحجاج أطره ومنطلقاته، الحجاج في اللغة لوصف أعمال "ديكرو"، ونظرية المسائلة عند "ميشال ميار"، والأساليب المغالطة في الحجاج، وينطلق حمادي صمودي في هذه المرحلة «اعتبار بلاغة الحجاج أدق مواضيع الدرس البلاغي اليوم وأكثرها أهمية بالنسبة إلينا»[1]. فالحجاج علاقة بين طرفين أوعدة أطراف تأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يُؤثر على الطرف المقابل حسا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقاد أو يميله عنه أو يصنعه له صنعًا[2].

ومن بين الوسائل التي تساعد على تحقيق هذه الأهداف منها: «ما هو متعلق بالمتكلم، ومنها المتعلق بالمخاطب، ومنها الخاص بالمقام، ومنها ما هو الأغلب الأعم ما يأتي من اللغة ذاتها»[3]. فاللغة وسيلة تزود المتكلم بالأساليب الكفيلة لإقناع المخاطب.

1- ينظر: حمادي صمودي، من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1999م، ص 08.

2- ينظر: نفسه، ص 102.

3- نفسه، ص 103.

4- ضوابط وخصائص النّص الحجاجي:

4-1- ضوابط النّص الحجاجي:

هناك العديد من الضوابط تميز النص الحجاجي عن غيره من النصوص الأخرى نذكر منها[1]:

1- أنْ يكون الحجاج ضمن إطار ثوابت مثل الثوابت الدينية والعرفية، فليس كل شيء قابل للحجاج.

2- أنْ تكون دلالة الألفاظ والمرجع الذي يحيل إليه محدد بيد أنّ تفاوت التأويل يكسب الخطاب ثراء وغنى، ولكن لا يكسبه دقة ونهاية.

3- ألاّ يقع المرسل في التناقض في قوله أو أفعاله ويجب أنْ يكون الحجاج موافقًا لما يقبله العقل، وإلاّ بدا زيف الخطاب ووهن الحجة.

4- أنْ يكون الحجاج جامعًا مشتركًا بين المحاجين لكي يحصل توافق بينهما في إمكانية قبول الحجج أو رفضها.

5- ضرورة خلو الحجاج من الإيهام والمغالطة والابتعاد عنها.

6- امتلاك المرسل لثقافة واسعة (بقدر ما أملك ثقافة بقدر ما أملك من حجج).

وما سبق ذكره يعد أهم الضوابط التي ميزت النص الحجاجي ، فلولاها لأصبح النص الحجاجي مزيفًا وخارجًا عن مقاييسه الخارجية.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص ص266، 267.

4-2- خصائص النص الحجاجي:

يقول "جيل دكلارك": «أنّ الحجاج وهو يتخذ من العلاقات الإنسانية والاجتماعية حقلاً له، يبرز كأداة لغوية وفكرية تسمح باتخاذ قرار في ميدان يسوده النزاع وتغطي عليه المجادلة»[1].

من هذا القول يمكن أن نستخلص أهم خصائص النص الحجاجي. وقد جمع "بنوا رونو" سمات النص الحجاجي في النقاط التالية[2]:

1/ القصد المعلن: أنّه البحث عن إحداث أثر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة وهو ما يعبر عنه اللسانيون بالوظيفة الإيحائية (Conative) للكلام وقد عرف رجال الإشهار أهمية هذا الأمر فنجحوا في استغلال هذا الشكل الناجح من أشكال التواصل.

2/ التناغم: فالنص الحجاجي نص مستدل عليه لذلك يقوم على منطق ما في كل مراحله ويوظف على نحو دقيق التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلق الأمر بالفتنة (L'envoutement) أو الانفعال (l'émotion) أو إحداث مجرد تقدم (progression) فيتجلى في نصه سحر البيان وتتأكد فتنة الكلام.

3/ الاستدلال: هو سياقه العقلي أي تطوره المنطقي ذلك أنّ النص الحجاجي نص قائم على البرهنة بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي وتهدف جميعًا إلى غاية مشتركة، ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس فإذا أعدنا النص الحجاجي إلى أبسط صورة وجدناه ترتيحبًا عقليا للعناصر اللغوية ترتيبًا يستجيب لبنية الإقناع.

1- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري، ص 24.

2- نفسه، ص ص 26، 27.

4/ البرهنة: إليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورًا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وهو ألطف فكرة وأنفذها.

وما نخلص إليه في الأخير هو أنّ النص الحجاجي أو الخطاب الحجاجي:

- خطاب إقناعي بالضرورة.
- موجّه للتأثير في سلوك المتلقي أو معتقده.
- تتحكم فيه طبيعة المتلقي.
- يعتمد إستراتيجية لغويّة خاصة به.
- يعتمد ربطًا منطقيًا ودلاليًا بين أجزائه المكوّنة له.
- غالبًا ما يكون للسياق دور كبير في تحديد نتائجه.
- نتائجه غير ملزمة للمتلقي –غالبًا- إذ تخضع لقناعاته وردود أفعاله.
- يعتمد خطاب العقل والعاطفة معًا.
- غالبًا ما يتّخذ شكل الحوار لتوسيع دائرة النقاش والأخذ والرّد.

5- آليات الحجاج:

تعدّ الآليات البلاغية واللغوية من آليات الحجاج وذلك لاعتمادهم على الاستمالة والتأثير في المتلقي.

5-1- الآليات البلاغية:

الحجاج آلة المتكلم في إقناع المتلقي واستمالته وإفهامه فإنّ البلاغة «آلة وهي التوسع في معرفة العربية، ووجوه الاستعمال لها والعلم بفاخر الألفاظ، وإسقاطها ومتخيرها، ورديئها، وما يصلح في كل واحد من الكلام»[1].

وتكمن الوسائل البلاغية: «فيما توفره من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه، فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة، وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام، وتصل بين أقسامه، أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما، أو رأي معين ومن ثمة توجيه سلوكه الوجهة التي يريدها له، أي أنّ الحجاج لا غنى له عن الجمال، فالجمال يرفد العملية الإقناعية وييسر على المتكلم ما يرمي من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعرية»[2].

ويحصل هذا الرأي من زاوية النظر إلى علاقة الحجاج والبلاغة في أنها «وضع للكلام في إدراك السامع بإيجاز أو تطويل، وتأدية المعنى لعبارة فصيحة، وصحيحة لها وقع في نفس السامع أو القارئ مع إدراك مكانة من يعرض أمامه الكلام»[3].

إذن فالآليات البلاغية لها دور كبير في إقناع المتلقي واستمالته من خلال علاقتها بالحجاج.

1- حميد آدم آثويني، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار النشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007م، ص 12.

2- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 120.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 494.

5-1-1- الاستعارة:

الأصل في الاستعارة أن يستعير بعض الناس من بعض شيئًا من الأشياء، ولا يقع ذلك إلاّ من شخصين بينهما معرفة تسمح باستعارة أحدهما من الآخر، وإذا لم يكن بينهما معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئًا، وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما لآخر[1].

أمّا دورها الحجاجي يعود الفعل في اكتشاف القيمة الحجاجية للاستعارة إلى نجم الفكر الغربي الفيلسوف الإغريقي "أرسطو"، من خلال تصنيفه الاستعارة إلى نوعين: استعارة شعرية والتي تعدّ زخرفة شكلية تحمل قيمة جمالية، واستعارة حجاجية وهي «التي تهدف إلى الإقناع وإحداث تغيير في الموقف العاطفي والفكري للمتلقي»[2]. كما كان لحجاج الاستعارة الحظ الكبير في الدراسة العربية، فقد أثار هذه المسألة "عبد القاهر الجرجاني" حينما اعتبر أنّ الاستعارة ليست بمجرد نقل الاسم عن الشيء وإنما هي إدعاء معنى الشيء للاسم، فيعرِّفها: «إنّ الاستعارة إنما هي إدعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء وإذا ثبت أنها إدعاء معنى الاسم للشيء علمت أنّ الذي قالوه من أنها تعليق للعبارة على غيرها ما وضعت له في اللغة ونقل لها عما وضعت له كلام قد

1- ينظر: ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الشعر والكتاب، مجلد 1، تح: الشيخ كامل عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ص 348.

2- هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الآداب واللغات، ، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر،العدد 5، مارس 2006م، ص 191.

تسامحوا فيه لأنّه إذا كانت الاستعارة وإدعاء معنى الاسم، لم يمكن الاسم ملازمًا عمّا وضع له بل مقرًا عليه»[1].

وقد افترض "طه عبد الرحمن" مجموعة من المقتضيات لبناء نظريته التعارضية للاستعارة الحجاجية، نظرًا لأنها توجب حذف قوانين الحقيقة لطلب قوانين المجاز، بواسطة عدد من الآليات التخاطبية وقد سمى نظريته هذه بـــ "المقاربة التعارضية للاستعارة"، وتتمثل مقتضياتها في[2]:

- أنّ القول الاستعاري قول حواري وحواريته صفة ذاتية له.

- أنّ القول الاستعاري قول حجاجي وحجاجيته من الصنف التفاعلي نخصه باسم "التحاج."

- أنّ القول الاستعاري قول عملي فصفته العملية تلازم ظاهرة البياني والتخييلي.

5-1-2- الكناية:

تعدّ الكناية من أنواع المجاز الحجاجية، فهي احتجاج لقضية عن طريق الرمز وهي: «ما أخفي من الكلام وأصله الصوت الخفي الذي لا يكاد يُفهم»[3].

وما أثبت حجاجيتها «والمراد بالكناية هنا أنْ يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في

1- عبد القاهر الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن)، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، (دت)، ص 437.

2- ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 310.

3- قدامى بن جعفر (أبي الفرج)، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، 1995م، ص61.

الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه»[1]. ولتحقيق الحجاج من الكناية لابد أنْ يكون المعنى الذي يقصده المحاجج على علاقة بالمتلقي الذي يوجه إليه هذا المعنى.

ومنه نستنتج أنّ الكناية ليست مجرد استخدام ألفاظ في الكلام بل هي أداة ووسيلة من الوسائل الحجاجية في الخطاب،

ومنه الكناية الحجاجية المفيدة بلاغة من الأنواع التي تقع تحت البيان المرادف للحجاج وهذا لوضوح أهمية الحجاج في هذا الفن البلاغي، بحيث يثبت أمرًا ويستدل عليه وإرسال المتكلم معنى مكني عن قصد فلا يذره لأنّ الكناية أبلغ من ذكره، وبهذا يرتبط الحجاج بالكناية بثلاثة عناصر[2]:

المتكلم المحاجج ← الرمز لمعنى وغاية حجاجية

المتلقي المحاجج ← الموجه إليه المجاز

الخطاب المجازي الحجاجي ← المحقق للغاية والمقصد

ولتحقيق الحجاج من الكناية وضفها المحاجج توظيفًا إقناعيًا مناسبًا فيتقدمها مقام الدليل القوي لمقصده.

وتنقسم الكناية «باعتبار المكنى عنه ثلاثة أقسام: فإن المكنى عنه قد يكون صفة، وقد يكون موصوفًا وقد يكون نسبة»[3].

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 66.

2- ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 288.

3- مصطفى أمين علي الجارم، البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1979م، ص 125.

5-1-3- التشبيه:

التشبيه آلية بلاغية تقوم على الربط بين عنصرين من مجالين مختلفين فيقوم المتلقي باستنتاج الحالة التي ورد فيها التشبيه حيث عرفه "ابن رشيق" «صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنّه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه ألا ترى أن قولهم (خد كالورود) إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك»[1].

التشبيه يجري مجرى الاستعارة في أنّ له ضربين من الاستعمال، فمنه ما يستعمل فقط لإضفاء صورة جمالية تعكس مدى براعة المتكلم وبلاغته، والآخر يستعمل كشاهد لأنّ التشبيه غرضه الأساسي هو التوضيح، الذي يقرب المعنى إلى ذهن المتلقي ومن ثم الإقناع الذي هو غاية كل حجاج، وعلى هذا فإنّ «التشبيه يمكن أن يُستخدم كأداة توضيح في وقول ما، إلاّ أنّ دوره يكون أحيانًا مهتمًا بتوصيل الإحساس، وقد كانت البلاغة القديمة متعودة على إقامة تمييز بين هذين النوعين من التشبيهات، إن إحداهما خطابية في حين أنّ الأخرى شعرية، الأولى مقدمة كشاهد ولأجل العقل وهي نوع من الاستقراء المستخدم في الاستدلالات، والثانية تقدم لتنوير الشيء وتلوينه، وغرضها يتمثل في جعل موضوع التفكير حاضرًا في المخيلة»[2]، ويوضح الخطيب القزويني أغراض التشبيه ومكانته الرفيعة في الإقناع وتحريك النفوس، إذا يقول «أعلم أنّ التشبيه مما اتفق العقلاء على شرف قدره، وإنّ تعقيب المعاني به لاسيما قسم التمثيل منه يكسبها أبهة ويُكسبها منقبة،

1- ابن رشيق القيرواني (أبي علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، تح: صلاح الدين الهواري، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/1996م، ص 455.

2- مورو فرانسوا، البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية، تر: محمد الولي وعائشة جرير، إفريقيا الشرق، المغرب، (دط)، 2003م، ص ص 54، 55.

ويرفع من أقدارها ويشب من نارها، ويُضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ويدعوا القلوب إليها ويستثير لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفًا ويقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغف فإن كان مدحًا كان أبهى وألحم وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف وأسرع للألفة... وإنْ كان حجاجًا كان برهانًا أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر...» [1]. فالتشبيه إذن هو حجة شعرية أساسية للوصول إلى البرهنة والحجاج.

5-1-4- البديع:

للمحسنات البديعية دور حجاجي ولا يقتصر وظيفتها في الجانب الشكلي للخطاب، حيث يوضح "الشهري" بأنّ «لها دورًا حجاجيًا لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع و البلوغ بالأثر مبلغه الأبعد»[2]، فهي تُضفي على الخطاب مجموعة من الدلالات والتأويلات التي تجعل العقول تذعن والنفوس تستميل، وبقول في هذا الجانب "صابر الحباشة" «إنّ محسناً لهو حجاجيًا إذا كان استعماله، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر , و يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة، وعلى العكس من ذلك، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإنّ المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي محسن أسلوب: ويعود لتقصيره عن أداء دور الإقناع»[3].

1- الخطيب القزويني، (جلال الدين)، التلخيص في علوم البلاغة، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1904م، ص ص 238، 239.

2- عبد الهادي بن ظاهر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 498.

3- صابر حباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات سورية، دمشق، ط1، 2008م، ص51.

5-1-4-1- الطباق:

يستعمل هذا المحسن للجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء كالرسالة أو الخطابة، ونجده يدعم المعنى بقوة الوضوح ويجعل الدلالة واضحة مقروءة غير مبهمة «والطباق وسيلة حجاجية يوضح, الحسن، ينمق وقوع المعنى في ذهن القارئ موقعًا يجعله يقتنع ويحقق هذا حين يجمع الطباق بين معنيين متقابلين، وهذا يبين موضع الطباق في الحجاج وقيمته الإقناعية»[1].

5-1-4-2- المقابلة:

وهي «أنْ يؤتى بمعنى أو أكثر، ثم يؤتى بمقابل ذلك على الترتيب، والمقابلة الحجاجية هي التي يقتضيها المعنى ولا ترد متكلفة، وبما أنّ المقابلة تعتمد على إيراد معاني ثم الإتيان بما يقابلها، فذالك يسهم حتمًا في توضيح المعنى، والتوضيح من التقابل يساعد على تمييز الأشياء ومنه الإقناع في ثوب جمال المقابلة»[2].

5-1-5- الإيجاز والأطناب:

5-1-5-1- الإيجاز:

الإيجاز هو أسلوب من الأساليب البلاغية التي تعمد إلى تقليص الألفاظ في مقابل غزارة المعاني، مما يجعل الكلام بليغًا، فقد قرن القدامى الإيجاز بالبلاغة بل وجعلوه البلاغة نفسها، فنجد ابن رشيق يقول:«هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف»[3].

1- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 296.

2- مصطفى أمين على الجارم، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، ص 285.

3- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص 397

أمّا دوره الحجاجي يكمن في اتصاله بالبلاغة، فالكلام الموجز أكثر قوة وبلاغة من الكلام العادي، وبالتالي أسرع وقوعًا في النفس وأشدّ تأثيرا على الذهن، ولذا كان معظم الأدباء ولاسيما الشعراء يميلون إلى الإيجاز في أشعارهم، كي يكسبوا أكبر عدد ممكن من المعجبين، ويقنعونهم بأفكارهم وآرائهم، ونأخذ على سبيل المثال أنّه: «قيل للفرزدق: ما صيرك إلى القصائد القصار بعد الطوال؟ فقال: لأني رأيتها في الصدور أوقع وفي المحافل أجول»[1].

كما تتجلى القيمة الحجاجية للإيجاز أيضًا في كونه يشد انتباه المتلقي ويستحوذ على ذهنه، خاصة وأنّ الإيجاز يعمد إلى حذف الزوائد من الكلام وتركيزه على المهم منه، فينقل المتكلم اهتمامه بشيء ما إلى المتلقي ويحاول إشراكه معه في هذا الاهتمام، من خلال حذف ما لا يعنيه من الكلام واهتمامه فقط بما يعنيه «والمتلقي كما مر بموضع الحذف تضاعفت يقظته إذا كان يقظًا، أو تنبيه إنْ كان غافلاً أو تجدد نشاطه إنْ كان قد فتر نشاطه»[2]. وإلى جانب القدرة التي يمتلكها الإيجاز بالحذف في إثارة الاهتمام ولفت النظر لدى السامع المستمع، وتحفيزه على التفكير في تقديره المحذوف، يلعب الإيجاز على ثلاثة حبال: الأول كونه ظاهرة جمالية تفصح عن المستوى الإبداعي للمتكلم، والثاني :أنّه قدرة إيحائية تفجر في ذهن المتلقي شحنة فكرية يستوحى من خلالها المحذوف،

1- أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله)، الصناعتين، تح: علي محمد البحاوي، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، 1371هـ/1952م، ص 174.

2- مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، (دت)، ص 152.

والثالث: أنّه صيغ تعبيرية تتناسب وواقع الحال[1]. وهذه الشؤون الثلاثة المجتمعة في الإيجاز ترفد بحث العملية الحجاجية وتدعم الطاقة الإقناعية.

إذن للايجاز دور حجاجي بارز يلعبه من خلال جعل الكلام أكثر بلاغة و جمال و كونه طاردا للملل , دافعا للشرود و النفور الذي قد ينتاب المتلقي إبان عملية الإقناع .

5-1-5-2- الإطناب:

وقد عرّفه "السكاكي" بقوله «هو أداؤه بأكثر من عباراتهم، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل»[2].

أمّا دوره الحجاجي فإنّه يراعي النفس في حالة ارتياحها ببسط الكلام، فالإطناب يسعى إلى بلوغ غاية الإفهام لدى المتلقي بإتباعه منهج الشرح والتفصيل والتوضيح، كي يزيل اللبس.

لذا فالإطناب يأتي «للإيضاح بعد الإبهام ليرى المعنى في صورتين مختلفتين، وليتمكن في النفس تمكن فإنّ المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك فإذا ألقي كذلك تمكن، وكان شعورها بها أتم، أو لتكتمل اللذة بالعلم به فإنّ الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه

1- ينظر: محمد ديب الحاجي، النسق القرآني دراسة أسلوبية، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، السعودية، ط1، 1431هـ/2010م، ص 418.

2- السكاكي (أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد)، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ/1987م، ص 277.

تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول فيحصل لها بسبب المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي ألم»[1].

فالإيضاح الذي يرد على سبيل الإيضاح بعد الإبهام أو على سبيل التفصيل بعد الإجمال فإنّه يخلق عنصر التشويق والإثارة عند المتلقي.

كما قد يأتي على سبيل التكرار لأجل غرض التلطف والاستمالة وأكثر ما يكون في الوصايا والنصائح والمراتب، وذلك لاستدراج المخاطب والتلطف في استمالته بالتحبب إليه فيناديه المتكلم نداء المشفق المتودد[2].

5-1-6- التعريض:

ونقصد به الجملة الاعتراضية حيث يعرفها "الزركشي" «هو أنْ تؤتي في أثناء الكلام أو كلامين متصلين معنى بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه، ولا يفوت بفواته فيكون فاصلاً بين الكلام والكلاميين لنكتة»[3].

أمّا علماء البلاغة فيتناولون التعريض من باب ما تحققه من أغراض وتهدف إلى تقوية المعنى، حيث نجد "ابن جني" يقول: «أعلم أنّ هذا القبيل من هذا العلم كثير، وقد جاء في القرآن، وفصيح الشعر، ومنثور الكلام، وهو جار عن العرب مجرى التأكيد،

1- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، ص ص 151، 152.

2- ينظر: عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1393هـ/1978م، ص 191.

3- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، (دط)، 1427هـ/2006م، ص 656.

فلذلك لا يشنع عليهم، ولا يستنكر عندهم، أن يعترض به بين الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره، وغير ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بغيره، إلاّ شاذاَ أو متأولاً»[1].

فالجملة الاعتراضية قد تفصل بين الفعل والفاعل، أو المبتدأ والخبر، والفعل والمفعول أو بين اسم إنّ وخبرها، واسم كان وخبرها، أو بين القسم وجوابه، أو بين الشرط وجوابه، أو بين الصفة والموصوف، والصلة والموصول، والجار والمجرور، والمؤكد والمضاف والمضاف إليه، والمعطوف والمعطوف عليه[2].

5-2- الآليات اللغوية:

تعتمّد العملية الإقناعية على أدوات ووسائل يقدمها الخطيب أثناء طرح خطابه من أجل إكسابه طاقة حجاجية، وتعتبر هذه الأدوات «بمثابة قوالب تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج، أو تعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب الخطاب السياق»[3]. وبالتالي يصل إلى غرضه المنشود. وتعدّ الآليات اللغوية في كل خطاب، من الوسائل الأفضل لتحقيق الإقناع بما جاء فيه. ويُمكننا أن نميز بين عدد من الآليات اللغوية التي يمكن أن تُسهم بشكل فعّال في عملية الإقناع لعل من أهمها:

5-2-1 الوصف:

يعدُّ الوصف من الآليات اللغوية الفعالة في وضع الحجج الواردة في الخطاب الحجاجي، ومن أدوات الوصف نذكر:

1- ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تح: محمد النجار، دار الهدى، بيروت، لبنان، ط2، (دت)، ص 159.

2- ينظر: مختار عطية، علم البديع ودلالات الاعتراض في شعر البحتري، دراسة بلاغية، دار الوفاء، القاهرة، (دط)، 2000م، ص 165.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 477.

5-2-1-1- اسم الفاعل:

ويعرف على أنّه «ما اشتق من فعل لمن قام به بمعنى الحدوث»[1].

5-2-1-2- اسم المفعول:

وهو «ما اشتق من فعل لما وقع عليه»[2].

5-2-1-3- أفعال التفضيل:

وهي «اسم مشتق على وزن أفعل يدل –في الأغلب- على أنّ شيئين اشتركا في معنى، وزاد أحدهما على الآخر فيه، فالدعائم التي يقوم عليها التفضيل الاصطلاحي في أغلب حالاته[3]:

- صيغة أفعل، وهي اسم مشتق.
- شيئان يشتركان في معنى خاص.
- ولا فرق في المعنى والزيادة فيه بين أنْ يكون أمرًا حميدًا أو ذميمًا.

5-2-1-4- الصفة المشبهة بالفعل:

وهي « كل صفة اشتقت منها غير اسمي الفاعل والمفعول به على أية هيئة كانت، بعد أنْ تجري عليها التثنية والجمع والتأنيث»[4].

وفي الأخير نستخلص أنّ لمصطلح الحجاج مفاهيم ودلالات متنوعة وضوابط وخصائص مختلفة وآليات متعددة، وكلها تخدم غاية واحدة وهي الإقناع، وهذا الأخير يعد

1- يوسف حسن عمر، شرح الرضى على الكافية، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي، ط2، 1996م، ص 413.

2- نفسه، ص 427.

3- عباس حسن، النحو الوافي، ج3، دار المعارف، مصر، ط3، (دت)، ص 395.

4- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 332.

عنصر مهم في الخطابة لأنّ من أهدافه الوصول إلى تحقيق الإقناع لذلك استعمله العلامة "محمد البشير الإبراهيمي" في خطبه من أجل تقوية المعنى واستمالة وإقناع المتلقي.

الفصل الثاني

فن الخَطابة وقضاياها عند البشير الإبراهيمي

1- فن الخَطابة عند البشير الإبراهيمي

1-1- مفهوم فن الخَطابة.

1-2- أنواع الخَطابة عند البشير الإبراهيمي.

1-3- خصائص الخَطابة عند البشير الإبراهيمي.

2- قضايا الخَطابة عند البشير الإبراهيمي.

تمهيد:

إننا نهدف من خلال هذا الفصل إلى تسليط الضوء حول المحتوى الموضوعي لفن الخطابة و قضاياها لدى محمد البشير الإبراهيمي، إذ يعد هذا الأخير عالما مصلحا، ومجاهدا متألقا، بعلمه و قلمه فهو يرمي إلى إصلاح حال الشعب ومعالجة نقائصه ومشاكله والتعبير عن حال الأمة، ويرسم صورة أفضل وأسرع من الفرد العادي، فنظم خطبا عالج من خلالها قضايا دينية برؤية صادقة صالحة واعية لحقائق الأشياء، وقضايا سياسية كونه مقاوما فذا، وقضايا تربوية باعتباره معلما ناصحا حكيما، وجاءت هذه القضايا لتبليغ رسالته الإصلاحية.

1- فن الخطابة عند البشير الإبراهيمي:

الخطابة فن أدبي قديم لا تكاد تخلو منه أمّة من الأمم، فمنذ أنْ اجتمع الناس في مكان واحد وتفاهموا بلسان واحد عرفوا الخطابة؛ لأنّ الرؤى والأفكار تختلف فيما بينهم، ومتى حاول الفصيح منهم أنْ يستميل من يخالفه فهو خطيب، ولذلك نجد «أنّ الناس في حياتهم القديمة تسلّحوا بأسلحة مادية للدفاع والعدوان وتسلحوا بالسلاح المعنوي»[1]، المتمثل في اللسان، ولا تزال الخطابة إلى الآن سلاحًا مرهفًا لأمم، تتباهى به المجالس العلمية وعلى المنابر وفي المعارض وغيرها، وقد استعملها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في نشر رسالاتهم وتبليغ دعوتهم فأذابوا بها الجليد المتحجر في النفوس ونفذوا بها إلى قلوب الناس فاستعطفوها، وأقنعوها وأثروا بها.

1- ديل كارينجي، فن الخطابة، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الأردن، ط1، 2001م، ص 07.

1-1- مفهوم فن الخطابة:

كان لموضوع الخطابة اهتمام كبير منذ القدم عند العلماء الغربيين والعرب، حيث حمل أفلاطون في محاوراته، على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة[1]، أمّا علماء العرب فنجد "ابن منظور" يحددها لغةً كما يلي: «من خَطَبَ: الخَطْبُ: الشأن أو الأمر، صغر أو عظم وقيل: هو سبب الأمر، يقال ما خَطْبَكَ؟ ما أمرك؟ وتقول هذا خَطْبُ جليلُ، وخَطْبُ يسير، والخَطْبُ: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة و رجل خطيب: حسن الخُطْبَة، وجمع الخطيب خُطباء وخِطَبُ، بالضم خَطَابَةٌ بالفتح: صار خَطيبًا»[2].

وجاء في أساس البلاغة "للزمخشري": «خَطَبه أحسن الخِطَاب: وهو المواجهة بالكلام، ومن المجاز: فلان يخطب عمل كذا، يطلبه، وأخْطَبك الأمر، وهو أمر مُخْطِبٌ، ومعناه أطْلَبك من طَلَبْتُ إليه حاجة فاطلبني»[3].

وفي الاصطلاح: يعرّفها "أرسطو": «فالريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة»[4].

ويُعرفها "قدامى بن جعفر" قائلاً: «إنّ الخطابة مأخوذة من خَطَبْتَ أخْطُبُ خطابة، كما يقال: كتبتُ أكْتب كتابة، وأشق ذلك من "الخطب" وهو الأمر الجليل، لأنّه إنما يقام

1- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002م، ص 13.

2- ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم)، لسان العرب المحيط، قدم له عبد الله العلايلي، تصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، مادة [خ ط ب]، ص ص 755- 776.

3- الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود عمر)، أساس البلاغة، دار الفك، بيروت، لبنان، (دط)، 1420هـ-2000م، ص ص 167، 168.

4- أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تح: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان،(دط)، 1979م، ص 09.

بالخطب من الأمور التي تَجَل وتعظم، والاسم منها خاطب مثل راحم، وإذا جعل وصفًا لازمًا قيل خطيب... والخطبة الواحدة من المصدر كالقومة من القيام والضربة من الضرب، وإذا جمعتها قلت خُطَبَ وجمع والخطبة اسم المخطوب به»[1].

ويُعرّفها "أبا هلال العسكري" يقول: «واعلم أنّ الرسائل والخطب متشابكان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفيه»[2].

يتبين من خلال تعريف كل من "قدامى بن جعفر" و"أبي هلال" أنهما يتحدثان عن موضوع الخطابة.

بينما الحديث يعرفها "أحمد محمد الحوفي" بأنها: «فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته فلابد من مشافهة وإلاّ كانت كتابة أو شعرًا مدونًا، ولابد من جمهور مستمع وإلاّ كان الكلام حديثًا أو وصية»[3]، ويقول عنها "عبد الجليل عبده شلبي": «هي فن المخاطبة بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة»[4].

وقد برز في الساحة الجزائرية خطباء كثيرون وعلى رأسهم "البشير الإبراهيمي" الذي أبدع في هذا الفن، باعتباره مجاهدًا متألقًا بعلمه وقلمه، وفي الوقت نفسه يدرك أنّ الأدب صورة للحياة والتعبير عنها مما أكسب خطبه سمة الخلود.

1- قدامى بن جعفر (أبي الفرج)، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، 1406هـ-1980م، ص 94، 95.

2- أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله)، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1404هـ-1984م، ص 154.

3- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار نهضة مصر، (دط)، 2001م، ص 05.

4- عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1401هـ-1981م، ص 13.

1-2- أنواع الخطابة عند البشير الإبراهيمي:

تعدّ الخطابة من أكثر الفنون الأدبية التصاقا بالواقع المعيش؛ فهي «تتناول جميع نواحي الحياة، العلمية والأدبية والفنية والفلسفية والاجتماعية والسياسية والدينية والقضائية»[1].

واختلاف هذه النواحي وتعدّدها أدى إلى تعدد أنواعها، فجاءت الخطب الدينية كالتي ألقاها في حفلة تكريم للشيخ عبد الحميد بن باديس –رحمه الله- بمناسبة اختتامه لتفسير القرآن الكريم و تتميز هذه الخطبة بظاهرة التعميم في المعاني والشمولية للأحداث، والخطب السياسية كالتي ألقاها ارتجالا أمام الوفود العربية و الإسلامية في الأمم المتحدة بمدينة باريس سنة 1952م، ويدور موضوعها حول التنديد بأعمال فرنسا وخطورة الموقف والتحذير من عواقب الاستعمار والخطب الأدبية مثل التي تتمثل في كلمة ألقاها في مجمع اللغة العربية في القاهرة باسم الأعضاء الجدد، ويتمثل موضوعها حول تمجيد اللغة العربية و الحث على التمسك بها. كما أعلنت الخطب السابق ذكرها في محتواها الإجمالي عن الرغبة في التغيير نحو الأفضل ويتجلى المقصد نفسه في اهتمام الإبراهيمي «باستجلاب العبر والعضات من مباحث التاريخ وسير أمجاده مع الحث على ضرورة إحيائها، ويتوقف نجاح الجهود على تطهير النفوس من الأمراض الاجتماعية والنفسية»[2].

وتبرز قيمة الخطابة عند الإبراهيمي في محاربته لكل البدع وتزكية النفوس وإنارة دروبها، حيث كان يخطب هو شخصيًا في كل مناسبة صغير أو كبيرة، عامة أو خاصة،

1- علي بوملحم، الأدب وفنونه، المطبعة العربية للطباعة والنشر، لبنان، (دط)، 1970م، ص 135، 136.

2- محمد بن قاسم بوحجام، من أساليب السخرية في أدب الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، العدد 2، 2010م، ص 72.

ثم كان يدفع أصحابه إلى الخطابة وتوجيه الشباب في هذا المجال للتدرب على امتلاك ناصية القول فيها، ملحًا على العلم في خطابه لأبناء أمته: «إنّكم لا تكونوا في العمل إلاّ إذا كنتم أقوياء في العلم، ولا تكونوا أقوياء في العلم إلاّ إذا انقطعتم له، ووقفتم عليه الوقت كله»[1].

إنها نظرة واعية لمكانة العلم في حياة الفرد لأنّه الأساس الذي يسير في جميع المجالات نحو الأمام، ولذلك فالإبراهيمي يربط قوة العمل بقوة العلم، ويركز على ضرورة التفرغ له تفرغًا تامًا.

ويسعى الإبراهيمي إلى توعية الفكر في مختلف ميادين الحياة، ولذلك تنوعت خطبه بتنوع هذه الميادين، فجاءت خطب السياسية لإصلاح المجال السياسي الذي يعدّ من ركائز صلاح الوطن، أمّا الخطب الدينية فتهدف إلى تصحيح العقيدة وغرس الإيمان الصحيح في النفوس من أجل بعث فرد صالح بتفكير سليم، وتهدف الخطب التربوية العلمية لإنارة الفكر وتوسيع الثقافة، وله «خطب أخرى كثيرة في مناسبات مختلفة في فتح مدارس جديدة لجمعية العلماء في شتى أنحاء الوطن، أو حين تبنى المساجد التي كان الشعب يؤسسها بماله الخاص، وكذلك له خطب كثيرة في رحلاته وجولاته داخل الوطن وخارجه شرقًا وغربًا مثل خطبته التي ألقاها في نادي القلم ببغداد عام 1953م ويومها قالت عنه صحف العراق أنّه يشبه قس بن ساعدة»[2]، وغيرها من الخطب التي أبدع فيها الإبراهيمي أيما إبداع فسجلها للزمن ووقع الدهر خلودها.

1- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، 1931-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، 1983م، ص 284.

2- عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، ط1، 1978م، ص 30.

وهكذا أثبت الإبراهيمي زعامته لهذا الفن، ووقع اسمه ضمن قائمة أكبر الخطباء في العالم العربي، وأكثرهم ارتجالاً في لقاء القول على الناس «فقد كان يسحرهم ببيانه، ويأخذهم بعذوبة لسانه، ويملك عليهم نفوسهم وقلوبهم وعقولهم بما كان يصدر عنه من زخرف القول البليغ»[1]. الذي يأسر النفوس ويستميلها للخضوع تحت أهدافه المسطرة.

1-3- خصائص الخطابة عند البشير الإبراهيمي:

إنّ الخطابة هي الوسيلة الكلامية المؤثرة التي يلجأ إليها المصلحون لتبليغ رسالاتهم، وبلوغ مقاصدهم، وهي الأداة الفعالة التي «لا يستغني عنها حاكم ولا زعيم ولا قائد، ولا مصلح ولا نائب ولا معلم ولا كاتب ولا ممثل»[2].

لأنها ترمي إلى غاية إنسانية هي إصلاح ما فسد من أحوال الناس، ولأنّ الإبراهيمي من أبرز رواد الإصلاح في الجزائر فقد أبدع في هذا الفن إلى حد البراعة بفضل ما يتصف به من صفات في الخطيب البارع، فقد كان «شديد العارضة، فصيح اللسان، ساعده في ذلك محصول من اللغة وفير، وإلمام بالأمثال وبراعة في حسن إجرائها في مضاربها، ومعرفة عميقة بطرائق الكلام، وقدرة على التصرف فيه»[3]. حسب ما يقضيه الحال، مرتجلاً في كثير من الأحيان هذه الخطب ارتجالاً؛ «مما جعل الأكثرية الغالبة منها تضيع فيحرم فن الخطابة العربي من إنتاج جميل وفير»[4]، لتبقى حسرة في نفوس هواته، ويبقى المصدر الوحيد هو أقوال اللذين استمعوا إليه وهو يخطب، لذلك

1- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص 282.

2- طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، ج1، دار المعارف، مصر، ط2، 1968م، ص 07.

3- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص 282.

4- عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009 ص 46.

فالحكم على خطبه يبقى رهين ما جاءت به ذاكرة المستمعين لتلك الخطب التي أبهرت الحضور، فقد ألقى ذات يوم خطبة مرتجلة في الخمسينات تحت عنوان "الله والذّرة" ولم يكن الحديث عن الذّرة مألوفًا على الأسماع في تلك الفترة، وكان بين الذين حضروا الخطبة لفيف من العلماء، وقد استمرت الخطبة أكثر من ساعتين، والشيخ ما يزال واقفًا يتناوب الراحة بين رجليه وعصاه، والناس من حوله منجذبون إليه، وكأنهم ينظرون إلى ألعاب ساحر، وما انتهى الشيخ من خطبته حتى قام من وسط الحاضرين –الأستاذ علم الدين عز الدين التنوخي- وكان من العلماء المتفتحين يكره شيوخ العمائم كما يكره الكتب الصفراء، وطلب من الإبراهيمي أن يسمح له بتقبيل عمامته تقديرًا لشخصه، واعترافًا بعلمه وسمو مقامه[1]. وعلو مقصده الذي كان سببًا في توجيهه الفكري، وتوحيد المقصد، وتربية الذوق الأدبي والفني الذي تألق على مدى الزمان، فصار فنًا رائقًا وإبداعًا شائقًا[2]، يخدم الإنسانية جمعاء عبر سائر العصور.

وقد ملك الإبراهيمي: «ناصية القول واستوعب البيان العربي وتبحر في العربية وآدابها وامتاز بالقدرة على توليد الكلام، وامتاز بالموهبة الأدبية وعرف الارتجال»[3]، الذي هو أول سمة تمتاز بها الخطبة، كما أنّ المتمعن في تلك الخطب يلحظ من حيث المضمون، والمنهجية السليمة، والارتباط بالواقع، والبعد عن المجاز، والخيال، والاستناد إلى الشواهد المنطقية والبراهين العقلية والاستنارة بكتاب الله –عزّ وجلّ- والسيرة النبوية

1- ينظر: محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988م، ص 151.

2- ينظر: مبروك زيد الخير، الإمام الإبراهيمي في شعر محمد آل خليفة، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 2، 2010م، ص32.

3- عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص 27.

الشريفة دون التفريط في التراث العربي والإسلامي، فإذا به يبدع «بنسق مميز أكسبه القدرة على رؤية الأشياء، والأحوال بما يلاءم الأزمنة ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً»[1]، وبهذه الميزة الزمنية كتب لخطبه الخلود، فلا الزمن و معطياته يكتسبان القدرة على محو أفكاره الخالدة ومعتقداته الراسخة، وهو في كل ذلك لا يستعرض قدراته على القول، وإبراز فصاحته في اللغة، واستيعابه للبيان العربي وتبحره في اللغة العربية، وامتيازه بالقدرة على توليد الكلام إلى درجة الارتجال[2]، وخلق المتعة في النفوس، بأسلوب ممتع بجميع بين الإيقاع والإيحاء بلغة قوية مثيرة للعاطفة، وهي سمة تمتاز بها خطب الإبراهيمي؛ لأنّ التأثير في المستمع هو هدفه الأول والأخير، فهو يستميلها بحمد الله والصلاة على رسوله الكريم وبالثناء على الصحابة والتّابعين، وكل ذلك في جمل قصيرة مسجوعة يوقع موسيقى يشد بها المستمعين ويجلب انتباههم ويدعم ذلك بعبارات تتخلل كلامه مثل :«أيها الإخوة الكرام، وأيها الناس... وهو أسلوب يتبعه لجلب الاهتمام وكسر الشرود الذهني».

أمّا فيما يخص نهايات خطبه فهو يشحنها بطاقة لغوية مكثفة تبعث في النفوس رغبة قوية في الانسياق نحو ما سطره الإبراهيمي من أهداف، فينتهي المستمع إلى أفكار حديثة بأنفاس جديدة، تبحث على الرغبة في الحياة برؤية أفضل يصاحبها الأمل والتفاؤل، ولذلك كان حريصًا على انتقاء الكلمات انتقاءًا ذكيًا، وما ذلك «إلاّ دليل على معرفة بالغة

1- عمر أبو أحمد بوقرورة، خصوصية الفكر عند الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد2، 2010م، ص 58.

2- ينظر: عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص 26.

بأنّ النفوس والأذهان لا تصفوا إلاّ أذا صفت الكلمات من الشوائب»[1]، فتستوي في الذهن كأنها لآلئ من الأحجار الكريمة، وتتناسق لتشكل عقدًا فريدًا يزيده كتاب الله لمعانًا وسنة نبيه –عليه الصلاة والسلام- إشراقًا، كما تزيده نفحات من التراث العربي والإسلامي قوة وبهاءًا.

ويسمو الإبراهيمي بخطبه سمواً يجعلك تشعر بالروعة تلامس السمع والأبصار، فتسري في النفس هينة لينة لتبث فيها روعة انتقاء المفردات واستواء التراكيب والجمل[2]، فتخرج من معانيها المعجمية إلى دلالتها الإيحائية، لذلك تمكنه من الأدب العربي بارزًا في أسلوب الأداء، وطريقة الإلقاء، إنّ كنا نعجب للغته فالعجب الأكبر في أفكاره التي بثها عبر لغته، فكان بحق من أعظم الخطباء واستحق –بحق- أن «ينحني له العقاد إجلالاً وتقديرًا، وأنْ ينتزع من أقرانه وأترابه لقب جاحظ عصره»[3].

2- قضايا الخطابة عند البشير الإبراهيمي:

إننا نهدف من خلال هذه الدّراسة إلى تسليط الضوء حول المحتوى الموضوعي للنثر "الإبراهيمي" عامة و فن الخطابة خاصة التي استعملها لطرح أفكاره، فهو يرمي من خلالها إصلاح حال الشعب بأكمله ولا غرابة في ذلك، لأن الإبراهيمي يعد من عباقرة عصره «ويقال إنّ العبقري أو الأديب يستطيع التعبير عن روح الأمة، ويرسم صورة

1- عبد الحفيظ بورديم، روعة البيان في كتابات الإمام الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 2، 2010م، ص 76.

2- ينظر: نفسه، ص 75.

3- محمد بن قاسم بوحجام، من أساليب السخرية في أدب الإمام الإبراهيمي، مجلة الوعي، ص 72.

أوضاعها، وينتبه للأخطار التي تحيط بها، ويتنبأ بمستقبلها أفضل وأسرع من الفرد العادي»[1].

واستنادًا إلى ذلك سنحاول إعطاء صورة حول أهم الموضوعات التي تناولتها خطب "الإبراهيمي" في آثاره، وذلك في مختلف القضايا من خلال نماذج في شكل معالم نهتدي بها لأخذ صورة عامة حول المحتوى الموضوعي لهذا الفن.

2-1- القضايا الدّينية

يعتبر الإبراهيمي مثلاً فريدًا من الأئمة الأفذاذ اللذين يبعثهم الله –عزّ وجلّ- للأمة من أحْوج الأوقات، ليحددوا لها دينها وينفعوا فيها من ورح الله، ويؤسسوا لها نهضتها على أمتن أساس[2].

فالإبراهيمي يدرك أنّ الإسلام هو أساس الحياة.

2-1-1- الإبراهيمي وفهم القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام الله –عزّ وجلّ- الذي أنزله على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، وقد سار على نهجه الأولون فعاشوا في سعادة كبيرة، ونالوا من الحضارة والرقي ما سجله التاريخ في سجله الذهني، ولكن «خلف من بعدهم خلف يقرؤون القرآن ألفاظًا لا معاني، وصورًا لا حقائق، فكان من ضعف وتأخر وانحطاط»[3].

1- سعدوني حمادي، الأدب والوعي القومي، آراء في ما يجب أنْ يكون، دراسات الوحدة العربية، مجلة دور الأدب في الوعي القومي، بيروت، العدد 01، 1980م، ص 31.

2- ينظر: محمد إبراهيم الكتاني، الإمام البشير الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 2، 2010م، ص 08.

3- محمد الصالح الصديق، الإمام الإبراهيمي، وفهم القرآن، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 2، 2010م، ص 37.

والحقيقة أنّ عظمة ما جاء به النبي الهدى تكمن في معرفة ذلك التاريخ الكامل البشرية قبل الإسلام بجميع أجناسها ولغاتها وعداتها، ثم ربطها بالمرحلة التي انتقلت إليها البشرية بعد الإسلام «حينما زحف أبناء الجزيرة على الشرق والغرب يحملون هدى الإسلام وعدله وميزانه وأخلاقه وعقائده وفرقانه، ويعملون على نشرها بين الأمم وتثبيتها في النفوس»[1]، وحيث يحدث هذا الربط بين المرحلتين يعرف سر عظمة القرآن الكريم، وحينها ستدرك البشرية جمعاء أنّ الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله هو الرحمة بعينها، وهو الهدى الكامل لبني آدم كلهم[2].

إنّ الإبراهيمي يدرك بأنّ ما أضاع المسلمين ومزّق شملهم هو بعدهم عن هداية القرآن «وعدم تحكيمهم له في أهواء النفوس ليكفكف منها وفي مزالق الآراء ليأخذ بيدهم إلى صوابها وفي نواجم الفتن ليُجلي عناءها، وفي معترك الشهوات ليكسر شهواتها، وفي مفارق سبل الحياة ليهدي إلى أقوامها»[3].

إنّ هذا الوضع الأليم للمسلمين دفع بالإبراهيمي إلى السعي وراء تغييره، والبعد عن السبل التي من شأنها أن تصحح نظرة المسلمين إلى القرآن الكريم.

إنّ الفهم الصحيح للقرآن الكريم والتفاعل معه، وتطبيق أحكامه هو سر نجاح أسلافنا الصالحين، لأنهم وعوا جيّدًا أنّ القرآن الكريم ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[4]، فتبعوا سبيله وجنوا بذلك العجب العجاب من القوة والسمو والإنتاج الحضاري والعلم والأدب

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 316.

2- ينظر: نفسه، ج1، ص 316.

3- نفسه، ج4، ص 226.

4- سورة الإسراء، الآية 09.

والفن واللغة، وإنّ العودة إلى تاريخ المدن الجزائرية العلمية كتلمسان وبجاية وتيهرت وقلعة حماد... تكشف آية سمات خالدة وسم بها الإسلام هذا القطر[1].

ويرى الإبراهيمي أنّ حال المسلمين لا يصلح إلاّ إذا رجعوا إلى القرآن يلتمسون فيه الدواء لكل أمراضهم وعللهم: «وإذا كان العقلاء مجمعين على أنّ المسلمين الأولين صلحوا فأصلحوا العالم وسادوه فلم يُبطروا، وساساوه بالعدل والرفق، وزرعوا فيه الرحمة والحب والسلام، وأنّ ذلك كله جاءهم من القرآن، لأنّه الشيء الجديد الذي حول أذهانهم، وهذّب طباعهم، وثبّت الفضائل في نفوسهم»[2].

ومن هذا المعتقد يخلص الإبراهيمي إلى أنّ سبب انحطاط المسلمين هو هجرهم للقرآن ونبذه وراء ظهورهم، والتعامل معه تعاملاً سطحيًا لا يغني ما لم يفهم ويطبق، أمّا عن أسباب هذا الهجران للقرآن، فيرى الإبراهيمي أنّ «بعضها آت من نفوسهم وبعضها آتٍ من خارجها»، فأمّا الأول فهو يتعلق باقتناعهم بآراء الناس والمصطلحات التي تتجدد بتجدد الزمان، والعصبية للآباء والأجداد، وغلت طوائف منهم في التعبد... فاختلفت الموازنة التي أقامها القرآن بين الجسم والروح، وعلت طوائف أخرى في تمجيد العقل، وكل هذا وأكثر من هذا شعب السبل إلى الحق وأغام الأفق، وبلبل العقول فكان التفرق الشنيع في الدين وكانت الفتن وكان ضعف المسلمين وانحطاطهم[3].

وأمّا الثاني فيتعلق بتلك الدسائس الدخيلة التي صاحبت تاريخ الإسلام من حركات الوضع للأحاديث وما صاحبها من هجوم حور الآراء والمعتقدات المنافية للقرآن إلى تلك

1- ينظر: الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 73.

2- نفسه، ج4، ص 227.

3- ينظر: نفسه، ج4، ص 227.

الشبهات في نصوص القرآن التي عمد إليها أصحابها ليصدوا المسلمين عن هديه وهي أخطر الفتن على الإطلاق[1].

هذه العوامل وغيرها هي التي باعدت بين المسلمين وقرآنهم فباعدت بينهم وأصبحوا أذلة مستعبدين، ويلا يزالون كذلك ماداموا تاركين لسنن القرآن معرضين عن آياته وإرشاداته.

لقد اقتنع الإبراهيمي اقتناعًا راسخًا أنّ القرآن الكريم هو دستور الحياة الذي ارتضاه الله لعباده، وأحكامه هي الأمثل لسير البشرية وإسعادها، متسائلاً: «لماذا نهجر دستور القرآن وهو من عند الله، ولا يأتيه الباطل بين يديه ولا خلفه، ولا يتبدل ولا يتغير، ثم نلتجئ إلى دساتير الغرب وقوانينه، وهي أوضاع البشر القاصرة، يظهر في كل حين تناقضها ومنافاتها للمصلحة، فتبدل وتغير، ولا تزال تبدل وتغير مع أنّ مواضيعها الموضوعة لهم من جنس واحد....؟» [2].

ورؤية الإبراهيمي إلى القرآن الكريم هو رؤية صحيحة، فهو يرى فيه الدستور الوحيد القادر على إسعاد البشرية في الدنيا والآخرة.

2-1-2- الإبراهيمي وتجديد العقيدة الإسلامية:

العقيدة الإسلامية هي ذلك اليقين الصافي الذي يقتضي التسليم الكلي للأمور القطعية اليقينية التي ارتضاها المسلم لنفسه، وجزم بصحتها ببراهين قوية وصادقة.

وقد سعى الإبراهيمي إلى إحداث ثورة تجديدية لمفهوم العقيدة الإسلامية التي غرقت في آفاق التقليد والتعصب المذهبي.

1- ينظر: الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 227.

2- نفسه، ج4، ص 195.

وقد أحسّ الإبراهيمي بضرورة تجديد مفهوم هذه العقيدة، وبعثها على أسس متينة بترسيخ الأخلاق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قصد بعض فعالية الدين الإسلامي؛ ولأجل ذلك قام بإلقاء خطبة نفسية أمام جموع جمعية علماء المسلمين يحثهم على ضرورة إحياء مجد الدين الإسلامي في نفس كل مسلم: «فأمّا إحياء مجد الدين الإسلامي فبإقامته كما أمر الله أنْ يقام بتصحيح أركانه الأربعة العقيدة والعبادة والمعاملة والخلق فكلكم يعلم أنّ هذه الأركان قد أصبحت مختلة وأن اختلالها أوقعنا فيما ترون من مصائب»[1].

ولعل المصيبة في الجزائر تكون عظيمة إذا ما اهتدّ ركن من أركان الإسلام والعروبة وخرّ ساجدًا سجوده الأخير[2]، فتموت الضمائر وتفسد الأخلاق وينهدّ المجتمع، ولذلك يؤكد الإبراهيمي على ضرورة شرح حقائق الدين وفضائله، وآداب الإسلام وحكمه، والسنن المتينة بإحيائها نشرًا ونصرًا بعد إحيائها علمًا وعملاً[3].

ويسعى الإبراهيمي إلى نشر الوعي بقيمة العلم، لأنّه أساس بعث الفعالية في حياة الفرد في شتى المجالات، كما أنّه العامل الأساسي الذي يدفع إلى فهم الدين فهمًا صحيحًا بعيدًا عن البدع والخرافات، فالأمّة المتعلمة هي التي تحمل جيل سليم يتمتع بعقول نابغة، فهي: «أمّة صحيحة العقول، صحيحة العقائد، صحيحة التفكير صحيحة الأبدان»[4].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 133.

2- ينظر: محمد زغينة، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، (دط)، 2005م، ص 113.

3- ينظر: عمار جيدل، أسس بعث الفعالية في فقه الإمام الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 2، 2010م، ص 67.

4- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 142.

و يقف الإبراهيمي موقف الناقد للعقل البشري الذي أصبح لا يهتم إلاّ بالحياة الدنيا، متناسي حياة الآخرة، ومع ذلك فهو لا يستسلم لهذا الواقع المر، ويستمر في محاولاته المصرة نحو تغيير واقع المسلمين وإحياء عقيدتهم الإسلامية، ومحو العقلية المتعصبة التي هي سبب كل الفساد والأمراض: «إنّ العصبية لأصل البلاء كله، فنشأت فيهم العصبية إلى الجنس وإن لم يعمر من التاريخ الصفحة، والعصبية إلى الرأي وإن لم يتعلق به من السداد نفعة، والعصبية للآباء وإن لم يكن لهم في الصالحات أثر والعصب للأشياخ حتى فيما زاغ فيه الفكر وعثر»[1].

ويؤكد الإبراهيمي كل التأكيد أنّ هذه العصبيات هي السبب في تشتت الأمة والفساد وانهيار تماسكها يقول: «لهذه العصبيات صارت الأمة الواحدة أمما وصارت السبيل الواحدة سبلاً، إذ نشأت عن العصبيات آثارها اللازمة، فساءت الحال وتراخت جبال الأخوة الإسلامية وضعف أثر الوازع الديني في النفوس، فضعف لضعفه أعظم ركن في الإسلام وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فطغت المحدثات على السنن حتى غمرتها وأصيبت العلوم الإسلامية بما أصيب به المجتمع الإسلامي من فتور»[2].

ولتجديد العقيدة إذن لابد ن تجديد العقيدة الإسلامية يعني إعادة إحيائها من جديد في نفوس المسلمين لإسعاد البشرية.

2-1-3- الإبراهيمي والثورة على البدع والخرافات:

لقد كانت العقيدة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم صافية نقية طاهرة، فصلحت بها الأمة صلاحًا، وخلدته بطور التواريخ، وشهدت له الأرض شهادة صامتة

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 110.

2- نفسه، ج1، ص 110.

تغنى بها كل الناطقين، شرحها الواقع وفسرها العيان الذي لم تحجبه بضعة عشر قرناً[1]، فاستطاعت بذلك أنْ تكون أمة مشرفة شرفت نفسها بإتباع هدى القرآن، ولكن خلق بعدهم خلق أضاعوا الصلوات، واتبعوا الشهوات والخرافات، فـــ: « كثر عدد الأدعياء الجهلاء الذين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويُوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ويزينون للناس القرآن فصاروا يشربون الخمر، وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات على غير خشية استحياء»[2]، وكل هذا بسبب هجر القرآن الكريم.

إذ أحسّ الإبراهيمي بخطورة هذه الظاهرة ليس فقط على الجزائريين، بل على الأمة الإسلامية، فدعا تصحيح هذه المعاني الفاسدة وإصلاحها إصلاحًا شاملاً لكل المفاسد النفسية؛ فيدعوا صارخًا: «فلتكن هي أول ما نصلح إنا جادين في تثبيت الوعي واليقظة والنهضة... لأنّ الأخلاق إذا استقامت تفتحت البصائر للوعي وتهيأت الشواغر لليقظة، وانبعثت القوى للنهضة، فكان الوعي بصيرًا وكانت اليقظة عامة، وكانت النهضة شاملة وكانت الحياة لذلك كله كاملة»[3].

فالإبراهيمي يرى أنّ الخرافات والأباطيل انغرست بعمق في الفكر حتى ظُنّ أنها الأصح، يقول: «إنّ هذه البدع والمنكرات التي يريد الإصلاح أن يكون حربًا عليها هي أمور قد طال عليها الأمد، وشاب عليها الوالد وشبّ عليه الولد وهي تعدّ شديدة الاتصال

1- ينظر: الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص 94.

2- محمد طهاري، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1992، ص 07.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 220.

بمصالح ألفها الرؤساء حتى اعتبروها حقوقًا لهم، وأنسى بها العامة حتى اعتقدوها فروضًا عليهم، فلا مطمع في زوالها إلاّ بصيحة مخيفة تزلزل أركانها»[1].

ويرى الإبراهيمي أنّ حماية العقيدة من البدع والخرافات هي من مسؤولية علماء الإسلام، لأنهم يشكلون العقل الواعي في الأمة، ولأنّ الضلال في الدين هو إذلال في الدنيا، لذلك يلوم العلماء الذين غفلوا في نوم أعمق من أصحاب الكهف «إلى أنْ فتحوا أعينهم على دين غير الدين فشبه لهم وأصبحوا تابعين بعد أنْ كانوا متبوعين وأصبحوا يزكون بعلمهم ذلك الجهل ويشهدون لأولئك القادة الجاهلين بالكمال والفضل ولأولئك المبتدعين بما انتحلوه لأنفسهم من الولاية والكرامة، على المعنى الذي اخترعوه، لا على المعنى الذي جاء به الدين»[2].

ففسدت المعتقدات وغرق الفكر الإسلامي في الخرافات والضلال، ويقسم الإبراهيمي أن هيبة العلماء لن تعود إلى مستقرها من النفوس إلاّ إذا تظافروا «على حرب البدع والضلالات التي لابست الإسلام، ولبست عقائده ففسدت وآدابه فكسدت، ولبست على المسلمين دينهم فأصبحت حقائقه في واد، وعقولهم في واد»[3].

فإنّ هذا هو الخطر الكبير، فانقطاع الصلة بين الإسلام والمسلمين أمر ترفضه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي بذلت قصارى جهدها في الإصلاح الديني «فأصبحت آثارها بادية في العقول والأفكار والإرادات، وقد رجع للقرآن بعض نفوذه

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 118.
2- نفسه، ج2، ص 343.
3- نفسه، ج2، ص 344.

وسلطانه، وحججه وبرهانه، وللسنة النبوية مكانها علمًا وعملاً، وللعلماء المصلحين قوتهم في التوجيه، ومكانتهم في التدبير، وقدرتهم على القيادة»[1].

إذن فرجال الجمعية قاموا بتطهير عقائد المسلمين وتوجيههم التوجيه الذي ينير طريقهم في الدنيا والآخرة.

وختامًا فإنّ الإبراهيمي قد حاول إعادة المسلمين إلى جادة الطريق، وتوعيتهم وإبعادهم عن الضلالات والخرافات والبدع والعمل على محو جذورها في النفوس بالعودة إلى كتاب الله والسنة النبوية الشريفة.

2-2- القضايا السياسية :

ركّب الإبراهيمي رؤيته الإصلاحية من خلال الخطابة في المجال السياسي لأنّه يعتبره المجال الأوسع في حياة الأمّة، فهو يضمن حقوق شعبها، ويؤكد هويتها الوطنية، ويُدافع عن كرامتها وعرضها فأحس بالمسؤولية في كل ذلك، كما وقف على قضيتين أساسيتين وهما "قضية فصل الدين عن الدولة" و"قضية فصل الدين عن الحكومة"، كما نجده كذلك لم يكن منعزلاً عن السياسة الخارجية بل كان يُتابع ما يحدث في دول العالم الإسلامي والعربي .

2-2-1- السياسة الخارجية:

لقد كرّس الإبراهيمي جهده ووقته من أجل تغيير واقع بلاده السياسي، ونشر الوعي القومي في نفوس شعبه من خلال عرض خطبه في المجال السياسي، لأنّه عاش الثورة بكل وجدانه، وتأثر لكل حوادثها وانفعل مع كل مشاكلها، وتجاوب مع كل انتصاراتها.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 345.

وتحدث أيضًا عن استقلال ليبيا في «كلمة إلى الشعب الليبي»[1]. يقول: «فكان من الواجب على ملكهم وحكومتكم أنْ يحافظوا على هذا الاستقلال وأن يقدروا الإثمان التي اشترى بها وأن يسوسوه بالحكمة والحذر، وأن يحفظوا ذمة الشهداء الأبرار من بنيه، وأن يرعوا حرمة ما أُريق على جوانبه من دموع ودماء... وأنْ يربطوا مستقبله بالشرق لا بالغرب، وبالقريب لا بالغريب»[2].

2-2-1-1- قضايا المشرق الإسلامي:

كما خاض الإبراهيمي عدّة قضايا، وعالج قضايا المشرق الإسلامي بفكر صادق وعاطفة قوية.

لقد تفاعل الإبراهيمي مع مختلف أحداث العالم العربي والإسلامي فكان يشعر بالمسؤولية في إيقاظ ضميرها من خلال صوته المدوي في المنابر، يقول: «وتحتمه أخلاق الرجولة وتفرضه الوطنية الصادقة النزيهة، والشعور بالولاء التام، والانتماء المطلق لهذه الأمّة»[3]، وعلى الرغم من حجم المسؤولية الملقاة على عاتق الإبراهيمي اتجاه ما يحدث في بلاده جراء الاستعمار الفرنسي، قائلاً: «أبلى فيها بقلمه ولسانه، ومواقفه -البلاء الحسن- وتحمّل في سبيل ذلك ما تنوء بحمله الجبال الرّاسيات»[4]، وعلى الرغم من كل ذلك فقد كانت نافذة الشرق ترسل له بنورها وتجسد فيه إحساسًا وجدانيًا أخويًا منبثقًا من روابط مشتركة، فمضى إلى هناك في رحلته المشرقية حاملاً معه هموم

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 238.

2- نفسه، ج4، ص 239.

3 - محمد دراجي، المشرق العربي (مواقف الإمام الإبراهيمي)، مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع، ط1، 2009م، ص 13.

4- نفسه، ص 20.

وطنه وأحزانه، وهناك قام بأدوار تربوية قيّمة في مجالات مختلفة، قائلاً: «مهد الحضارة وحرم العروبة ومهبط الوحي، ومن ثم فهو حلم الخلاص وطريق الوحدة الشاملة»[1].

فبات يحن إلى نورها ويرى فيها الأمل لغد مشرق: «دار الكلوم يا شرق، فمازلنا كما استشفينا بك الراحة والعافية، ونظفر بالأدوية الشافية، ومازلنا كلما استنشقنا ريحًا استنشقنا رندك وعرعارك... ومازلت تتحفنا مع كل بازغة منك بالنور اللائح، والشعاع الهادي، ومازال يبتلج علينا من سناك في كل داجية فجر، وتسري إلينا من صباك في كل غماء نفحات منعشة»[2].

وهو بذلك يجعل من المشرق مصدر افتخار لكل العرب والمسلمين، ويبين الإبراهيمي أنّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعلن تأييدها للشعب المصري وتضامنها معه وتحيي جهوده في سبيل حريته واستقلاله: «إنّ الشعب الجزائري حين يظهر بهذا الإحساس الشريف الطاهر نحو أخيه الشعب المصري إنما يُدم جهد المقل من قلوب ملؤها الحب لمصر، والاعتزاز بأخوة مصر والإعجاب بما صنعت مصر»[3]، لأنّ ذلك مفخرة للعرب جميعًا.

ويصور الإبراهيمي ما لمصر من فضل على مشارق الأرض ومغاربها من حماية لدينهم، وهو الأمر الذي يستوجب عليهم نصرتها من العدو والوقوف إلى جانبها، يقول: «وأنت اليوم مأرز الإسلام، فكلما سيم الهوان في قطر، أورماه زندق بنقيصة، فزع إليك، واستجار به يلتمس الغوث، ويستمد الدفاع، فلك على المسلمين في المشارق والمغارب

1- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الآداب، ط2، 1988م، ص 114.
2- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، دار المعارف، القاهرة، (دط)، 1963م، ص 551.
3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 559.

فضل الحماية لدينهم، وعليهم أن يطيروا خفافًا وثقالاً لنصرتك، ثم لا منة لهم عليك ولا جميل»[1].

ويعمد الإبراهيمي إلى الافتخار بمصر ويجعلها مفخرة للعرب والإسلام والشرق ويضعها في المكانة اللائقة بها.

2-2-1-2- قضايا المغرب العربي:

فقلم "الإبراهيمي" فاض حسرة عن كل ما يحيط بالعرب من قضايا تهز المشاعر، وتحبس الأنفاس.

وقد تناول الإبراهيمي قضايا المغرب العربي إذ صب فيه غضبه وسخطه حول المشاكل التي يتخبط فيها هذا الجزء من الأقطار العربية، وبخاصة ماله صلة بالاستعمار.

ويحاول الإبراهيمي من خلال العديد من خطبه التي دمجها في قضايا المغرب أنّ رؤيته حول كل ما يحيط بهذا الجزء العربي من قضايا، ونذكر منها: "موجة جديدة"[2]، "ليبيا موقعها منا"[3]، "أرحام تتعاطف"[4]، "عروبة الشمال الإفريقي"[5].

وقد عالج فيها مختلف المشاكل التي كانت سائدة آنذاك في المغرب العربي بعامة، مركزًا على أهم القضايا المصيرية التي تمس الإنسان في كرامته وتزعزع كيانه الوجودي، وبخاصة الاستعمار، يقول: «طالما نعينا على المسلمين خصوصًا، وعلى الشرقيين عمومًا، هذا التقاطع الذي شتت شملهم، وفرّق جامعتهم وصيرهم لقمة سائغة

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 563.
2- نفسه، ج3، ص 399.
3- نفسه، ج3، ص 402.
4- نفسه، ج3، ص 422.
5- نفسه، ج3، ص 428.

للمستعمرين، وطالما شرحنا للمسلمين أسرار التواصل والتراحم والتقارب الكامنة في دينهم، وأقمنا لهم الأدلة... وأنّ الاستعمار... يفسد فطرة الله فيهم، وينقض دين الله عندهم»[1].

ويصور الإبراهيمي تأثره الشديد مما أصاب المغرب الأقصى الشقيق من نفي لزعيمها الملك محمد الخامس، فيصب غضبه على الاستعمار الفرنسي، وكله ألم وحسرة على العرب؛ لأنّه يرى في ذلك إهانة للعرب قبل أن تكون للمغرب: «وحلت المحنة بالمغرب الأقصى، وجاءت فرنسا بالخاطئة، فأهانت ملكًا، وعددت عرشًا، وأذلت شعبًا، وروعت سربًا، وانتهكت حرمات، واعتقلت أحرارًا ، وكبتت أصواتًا، وحطت علياء من مراتبهم ونصبت أدنياء في غير مناصبهم، واستعانت على الفقهاء بالسفهاء... ولعمري إنها لأقصى غاية من الفساد بلغناها، وأقصى أمنية للاستعمار نالها فينا»[2].

لقد أراد الإبراهيمي أن يكشف الغطاء عن الوجه الحقيقي الذي يخفيه الاستعمار وراء سياسة القمعية، فأزال الستار عن حقائقه المتسترة خلف قوانينه الردعية، بل وعمل على نشر هذه الحقائق بأسلوب قوي يستند على الواقع بالأدلة والبراهين: «رأينا المثال المجسم من انتصار الاستعمار بالمسلم على أخيه المسلم، وترويع المسلم بأخيه المسلم، وخوف المسلم من أخيه المسلم، كل ذلك والدين واحد، والوطن واحد، والمصلحة واحدة، والخصم المتربص واحد، ولولا حكمة من العقلاء، وأناة من العلماء، لأريقت دماء المسلمين»[3].

1- الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، ص 471.

2- نفسه، ج2، ص 473.

3- نفسه، ج2، ص 473.

وأخيرًا نصل أنّ الإبراهيمي قد دعا في خطبه الكثيرة إلى التحرر من العبودية الاستعمارية بشتى أشكالها وألوانها، ليحرر الأمة العربية من قيودها.

2-2-2- السياسة الدّاخلية:

لقد شعر الإبراهيمي بمسؤولية كبرى ملقاة على عاتقه اتجاه شعبه في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية وغيرها...

2-2-2-1- قضية الاستعمار:

إنّ واقع الجزائر المرير الذي كان يفرضه الاستعمار في شتى الميادين جعل الإبراهيمي يضاعف من مجهوده في نشر الوعي بين شعبه، واشتعال نار الغيرة على الوطن.

يرى الإبراهيمي أنّ الشعب الجزائري لم يطلب المستحيل، وإنما طالب بحقوقه المشروعة ويقول: «فلما أعياه الأمر لجأ إلى الموت فشهر السلاح وعقد العزم على التحرير والخلاص وحمل المستعمر الظالم على احترام حقوقه بهذه الوسيلة التي لم يبق له سواها، وهو ماض في سبيل التحرر مهما كلفه ذلك»[1].

ويفتخر بأبطال بلاده معجبًا بالجهاد وصبرهم على القتال، يقول: «إنكم بيضتم وجهها وأقررتم عيونًا، وسررتم نفوسًا، ومملوءة بحبكم معجبة بصفاتكم القديمة في الجهاد، راثية لحالكم الغابرة»[2].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 59.

2- محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، دار الأمة، الجزائر، (دط)، 2007م، ص 39.

فكانت بذلك الثورة هي حصاد سنين من الظلم والقهر والجبر: «هذه نتيجة سياستك البليدة وهذا جني غرسك الخبيث، زرعت الحنظل فتجرعي مرارته، وحاربت الله في دينه ومحارب الله محروب، فأخزاك في جميع المواقف»[1].

وهكذا حاول الإبراهيمي الوقوف في وجه فرنسا مجاهدًا بقلمه ومحاولاً نشر الوعي في نفوس الشعب في كثير من خطبه.

2-2-2-2- قضية فصل الدين عن الحكومة:

كتب الإبراهيمي خطب عديدة حول قضية فصل الدين عن الدولة باعتبارها تعد من ضمن القضايا الكبرى التي شغلت الشعب الجزائري، لأنها تمس بالدرجة الأولى أقوى الركائز الأساسية التي تقوم عليها الدولة.

قد عهد الإبراهيمي بشأن هذه القضية المصيرية إلى كشف الغطاء عن حقيقة فرنسا، وما تخفيه وراء سياستها وقوانينها، فعمل ساعيًا لإظهار الحق وتجليته، يقول: «نحن قوم خلقنا لهذا، وأخذ علينا عهد الله أن نقف فيه المواقف الصادقة، وأن لا نزال به حتى نثبت حقه الأصيل، وننفي باطله الدخيل، وأن لا تغلب ضعفنا فيه قوة الشيطان، لأننا أقوياء بالحق أشداء بالإيمان، أعزة بالله»[2]، فكان إذن متمسكًا بالحق وفي وقفته المطولة عند جذور واقع هذه القضية الملثم، فحاول طمس هذه اللثام عن أصلها ومصدرها وعن الدّافع الرئيسي الذي جعل فرنسا تحتل الجزائر والذي اتضح من خلال القرائن التاريخية

1- محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، ص 42.

2- الإبراهيمي، عيون البصائر، ج 2، ص 163.

أنّ الروح الصليبية التي تغذيها الكنيسة الكاثولوكية هي التي نفخت في القادة الفرنسيين الاستعداد القوي للهجوم على الجزائر والاستيلاء عليها[1].

ويوضح الإبراهيمي تلك الفكرة بكثير من اليقين فيقول: «إنّ عقلية هذا الاستعمار الذي بُلينا به –حين تطل بالإسلام- عقلية "لاتينية" أولاً، صليبية ثانيًا، فهي تتخبط بين الجهتين، لا تنحصر إحداها حتى تجعل الأخرى وترين، وتتغذى من عنصرين لا ينضب أحدهما حتى يثر الآخر ويفور، وهو بهذين الدّافعين احتل الجزائر، ولهذين الباعثين عامل الإسلام فيها هذه المعاملة الشنيعة »[2].

ويكشف الإبراهيمي عن سر تسلط فرنسا على الدين الإسلامي وتمسكها بضرورة فصله عن الدولة، وتسيير شؤونه بطرقتها الخاصة، فيبين حقيقتها في استعباد أبدان وطغيانها على دينهم فتخنق حريتهم حتى أبسط حقوقهم وتحقيق بذلك مرادها من التسلط على الجانبين الروحي والمادي «وعلى هذه الحقيقة فوضعية رجال الدين الإسلامي عند هذه الحكومة ليست وضعية رجال الدين، وإنما وضعية الجزء المكمل للجهاز الحكومة كالجند والبوليس»[3].

ولا يسأم الإبراهيمي من تصوير سياسة فرنسا في قمع الدين وأساليبها في طمس معالمه، فيقول: «يا قوم: إنّ هذه الحكومة تقدم ارتياد على الاصطياد، وقد ارتادت سلفكم القريب فوجدتهم أصلب منهك عودًا، وأعلى منكم همة، وأوفر حظًا من الشجاعة، لأنهم كانوا على بقية إيمان وعلى فضله من شهامة، وعلى شيء من الاعتزاز بالشرف الديني، وعلى نسبة ما من القرب من الله، والاتصال بالأمة، فحماهم ذلك كله من تأثير سحرها

1- الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، ص 186.

2- نفسه، ج2، ص 170.

3- نفسه، ج2، ص 115.

واستهوائها»[1]. وتمجيد الإبراهيمي للسلف في موقف كهذا رغبة في تحفيز الأمة وإذكاء فطنتها.

إنّ قضية فصل الدين عن الدولة جعلت الإبراهيمي يزداد معرفة بخبايا الاستعمار، بل وتعمقت معارفه به إلى حد اليقين، فيمثله بالشيطان بأبشع صوره، وحقيقة الشيطان أنّه عدو الإنسان منذ خلق الله –عزّ وجلّ- آدم، وفرنسا عدوة للإسلام ولمعتنقيه في كل زمان.

ونشير إلى أنّ كتابات الإبراهيمي في المجال السياسي كانت حربًا لكل عدو دخيل، فكان قلمه مجاهدًا ماهرًا في التعامل مع العدو وفي تحفيز الأمة للتصدي له.

2-3- القضايا الثقافية والتربوية

يؤكد الإبراهيمي أنّ الإصلاح العلمي من أهم القضايا التي يجدر أن تحظى باهتمامنا والاعتناء بها في الكثير من خطبه، ولولا الجانب الديني لكان هذا أول ما تهتم به الجمعية «إنّ الإصلاح العلمي هو ناحية من نواحي الإصلاح الكثيرة التي يجب أن تعطيها جمعية العلماء المسلمين فضل اهتمام واعتناء، ولو لم يحدث من الحوادث ما جعل اتجاه الجمعية إلى الإصلاح الديني أقوى لكان الإصلاح العلمي أول ما تعالجه وتبذل فيه جهودها؛ لأنّه ألصق باسمها وأكثر ارتباطًا بحرفة رجالها ويكفينا دليلاً على خطر الإصلاح العلمي وقيمته -أن أكبر عناصر الإصلاح الديني الذي لا يمتري في لزومه عاقل- يستمدون قوته من شيء يسمى علمًا ومن أشياء تسمى علماء»[2].

1- الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، ص 118.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 69.

يرى الإبراهيمي أنّه من الحكمة أن تبتدئ الجمعية لتطهير النفوس من كل الرذائل ومن ثم إعدادها لاستغلال الملكات العلمية إعدادًا سليمًا يقوده الإصلاح العلمي بأوسع مفهومه الذي يتجلى في «اختيار أقرب طرائق الإلقاء لذهن المتعلم واختيار أقرب الكتب لأداء المعنى الصحيح ولفهمه وتدريبه على تطبيق النظريات على العمليات»[1].

وهو بذلك يؤكد على ضرورة توفير الإمكانيات المادية في العملية التعليمية، لأنها السبيل الميسر للرفع من مكانة العلم: «ودوننا في الوصول إلى القدر الصالح منه عقبات أكبرها فقدان، فلو اجتمعنا وتظاهرنا وملأنا الدنيا أقوالاً لما أفادنا ذلك من العلم قليلاً ولا كثيرًا بدون مال»[2]، وعليه فقد بات من الواجب البحث عن سبل توفيره.

أمّا اهتمامات الإبراهيمي في المجال الثقافي التربوي فقد كانت تتمحور حول مكانة اللغة العربية، والدفاع عنها بتسخير كل الإمكانيات لذلك:

2-3-1- مكانة اللغة عند الإبراهيمي:

إن حب اللغة العربية يسري في وجدان الإبراهيمي كما يسري الدم في عروقه، فهو يراها شرفًا كبيرًا للأمة العربية والإسلامية ميّزها عن باقي الأمم، فتوسع في علومها وتبحر في أسوارها حتى أدرك ضخامة حجمها في الحياة، فتمنى أنْ «ينبع في أهلها عمالقة في الفكر والعلم والأدب تكون هي ترجمانًا لأفكارهم وعلومهم وخواطرهم، ويكنون هم ترجمانًا لعبقريتها وسحرها وجلالها»[3].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 70.

2- نفسه، ج1، ص 71.

3- عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009م، ص 08.

ويرى الإبراهيمي أنّ اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة بل هي في مكانها وبين أنصارها «ممتدة مع الماضي لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم وتقيم بإقامتهم»[1]، فهي إذن ممتدة بجذورها منذ القِدَم، ولن تتزحزح مادام الإسلام قائمًا بأركانه في النفوس، فيزيدها القرآن بتلاوته عذوبة وتزيدها الصلوات الخمس تحصنًا في القلوب فإذا بها لغة دين ودنيا معًا[2].

ويرى الإبراهيمي أنّ هذه العربية هي التي وحدّت الوطن، فلم يفرقه سوى الاستعمار في عهده الأخير، فالعالم العربي بهذه العروبة «كالجسد الواحد إذا ألم بجزء من أجزائه حادث، أو نزلت به مصيبة، تداعت سائر الأجزاء بالنصرة والغوث، أو بالتوجع والامتعاض»[3]. مؤكدًا على نوايا الاستعمار الخبيثة اتجاه اللغة العربية ومحاولاته في طمس معالمها ومحو آثارها فيحاول بالباطل ليدحض به الحق، يقول: «وإنما يتعمد العربية بالحرب لأنها عماد العروبة، وممسكة الدين أن يزول، ولأنّ لها كتابة ومع الأدب التاريخ ومع كل ذلك البقاء والخلود، ومع كل ذلك مما يقص مضجعه، ويُطير منامه، ويصخ مسمعه، ويقصر مقامه»[4].

يرى اللغة العربية عالمية لما وسعت علوم العالم واستطاعت أن تترجمها، فاحتوت بعبقريتها «هذا التراث العقلي الذي لا يزال يأخذه الأخير عن الأول، وها هو الجزء

1- الإبراهيمي، عيون البصائر، ج 2، ص 221.
2- نفسه، ج2، ص 221.
3- نفسه، ج2، ص 478، 479.
4- نفسه، ج2، ص 479.

الضروري في الحياة الذي إما أنْ تنقله إليك فتكون قوة فيك، وإنْ تُنتقل إليه في لغة غيرك فتكون قوة لغيرك، وقد تفطن أسلافنا لهذه الحقيقة فنقلوا العلم ولم يُنقلوا إليه»[1].

ويكشف الإبراهيمي الغطاء عن مسألة خطيرة بسبب كثرة المغالطات فيها وهي أنّ «العرب ليس فيما ترجموا إلا النقل المجرد، وأنهم لم يزودوا شيئًا في التراث الفكري، الذي نقلوه، وأن وظيفتهم في هذه الوساطة وظيفة الناقل الأمين الذي ينقل الشيء كما هو ملفوفًا من يد إلى يد»[2].

ويرى الإبراهيمي أنّ اللغة العربية خدمت الإنسانية عامة؛ لأنها لم تخدم علمًا خاصًا بعينه، وإنما خدمت العلم المشاع بين البشر بكل الفروع، وهي اللغة الوحيدة التي احتضنت العلم ونصرته في القرون الوسطى حين كان مستوى البشرية في الحضيض، يقول: «وقد كانت هذه اللغة في القرون الوسطى يوم كان العالم كله يتخبط في ظلمات الجهل في اللغة الوحيدة التي احتضنت العلم وآوته ونصرته»[3].

وليس من الغرابة في شيء بأن يؤمن الإبراهيمي بقدرة اللغة على الرفع من قيمة الأمة وتنوير فكرها ففتحت عليها آفاقًا كبيرة في دفعة قوية نحو الأمام «فحفزت الأفكار الخامدة إلى التحرك وزادت الأفكار المتحركة قوة على قوة»[4].

إنّ وزن اللغة العربية عند الإبراهيمي ثقيل جدًا، لأنّه أدرك قيمتها في استيعاب العلوم القديمة والحديثة بفضل خاصيتها الشمولية.

1- الإبراهيمي، عيون البصائر، ج1، ص 261.
2- نفسه، ج1، ص 262.
3- نفسه، ج1، ص 263.
4- نفسه، ج1، ص 263.

2-3-2- التربية والتعليم عند الإبراهيمي:

لقد حرص الإبراهيمي على الجانب التربوي في منهجه الذي خطه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعيًا منه بقيمة هذا الجانب في تحقيق النهضة المنشودة والتي هي حكم كل مواطن طموح لغد أفضل، لأنّ «نهضة الأمة مرهونة بنوع الجهود الفكرية والتربوية والعلمية التي يبذلها العلماء والمعلمون في مجال التوجيه والإرشاد والبناء الفكري وتصحيح واقع المجتمع»[1]، ولذلك ركز الإبراهيمي نشاطه في هذه القضايا على ضرورة ضبط النشاط التعليمي وتحديد الآليات التربوية، وكانت مواقف الإبراهيمي حول هذه العملية التثقيفية الحضارية تتمثل في الجهود التي بذلها لأجل هذا السلوك الهادف إلى رعاية الفرد وتطوير المجتمع طمعًا في الوصول إلى غاية سامية، وهي الكمال الفكري، ومن ثم الكمال الإنساني.

والتربية في منظور الإبراهيمي لا تخرج عن هذه الأطر التخطيطية، ولا تميل عن هذه المعاني الفكرية، فهو ينظر إليها بفكر ثاقب وواعٍ.

ويحرص الإبراهيمي على توعية المعلمين بقيمة العملية التربوية، ومركزًا على ضرورة التربية قبل التعليم، فكان بذلك الأب الناضج الذي يبرز بفكره في صورة حكيم خبير، لأنّ ما قدمه للمعلم من نصائح لا تنبع إلاّ من حكيم متمرس في أصول الحياة، يقول: «احرصوا كل الحرص على أنْ تكون التربية قبل التعليم ثم احرصوا على أنْ يكون ما تلقونه لتلامذتكم من الأقوال منطبقًا على ما يرونه ويشهدونه منكم من الأعمال، فإنّ الناشئ الصغير مرهف الحس... وإنّه قوي الإدراك للمعايب والكمالات، فإذا زينتهم له

1- عبد القادر فضيل، التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 2، 2010م، ص 40.

الصدق، فكونوا صادقين، وإذا أحسنتم له الصبر فكونوا صابرين... ألا إنّ رأس مال التلميذ هو ما يأخذه عنكم من الأخلاق الصالحة بالقدوة، وأما ما يأخذه عنكم بالتلقين من العلم والمعرفة فهو ربح وفائدة»[1].

ويُعظم الإبراهيمي مكانة المعلمين ويمجد قيمتهم، ويُشيد بدورهم الكبير في المجتمع فيراهم أجندة يكافحون الأمية بسلاح العلم، فيرسم لهم بذلك صورة رائعة تزيدهم هيبة شجاعتهم وهيبتهم، يقول: «أنتم جنود العلم ولكلمة "جندي" معنى يبعث الروعة، ويوحي بالاحترام ويجلب الشرف، ويغلي القيمة، لأنّه في غاية معناه حارس مجد، وحافظ أمانة وقيم أمة، لأنّ من واجبات الجندي الصبر على المكاره واللزبات، والثبات في الشدائد والأزمات... وإنما أنتم حراس دروب ومرابطة ثغور، فاصبروا واثبتوا، وقد كفيناكم سداد الرأي، فهاتوا سداد الإرادة وسداد العمل»[2].

ويظل الإبراهيمي ساهرًا على إعلاء كلمة المعلمين والأساتذة فيضعهم دائمًا في أحسن صورة ويرسم لهم الإطار المناسب الذي يليق بهم في المجتمع، ويمنحهم مكانتهم الحقيقية، ويعمد إلى التعريف بهم لأسلوب رائع يضعهم في أحسن صورة تليق بقدسية الأمانة التربوية التي يحملونها بصدق، يقول: «ونعني بالمعلمين هذه الطائفة المجاهدة في سبيل تعليم أبناء الأمة لغتهم، وتربيتهم على عقائد وقواعد دينهم، وطبعهم على قالب من آدابه وأخلاقه، نعني هذه الطائفة الصابرة على مكاره الحياة كلها، المحرومة من الرّاحة

1- الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، ص 291.

2- نفسه ،ج2، ص 299.

والاطمئنان في جميع أوقاتها ففي الشتاء تشقى وتتعب، وفي الصيف تضحي وتنصب، وفيما بين ذلك تكابد وتعاني...» [1].

وهو يستمد هذا الاعتقاد من واقع معيش، وفكر عميق وتجارب حية في واقع ميت طغت عليه الأمية فولدت الجهل والتخلف، لأنها صفة مدمرة «لا تغشوا في أمة وتشيع بين أفرادها إلاّ فتكت بها وألحقتها بأحسن أنواع الحيوانات ومكنت فيها الجهل والسقوط والذلة والمهانة والاستعباد»[2].

والأمية هي سبب نخلف الأمم وانحطاطهم، فهي تقضي على معظم خصائص الحياة، وتدمر الأمة، لأنها «مرض فتّاك، ونقيصة مجتاحه، ورذيلة فاضحة، وشلل وزمانه في جسم الأمّة التي تُبتلى بها»[3].

إنّ خبرة الإبراهيمي بخفايا الاستعمار ونواياه جعلته ينشط قلمه في خطبه في سبيل نشر توعية كاملة لهذا الباعث الخفي خاصة في مجال التعليم فيصف سياسته الشنعاء في تدمير الشعب وركائزه، وقتل جميع مقوماته دون رحمة، يقول: «يحرم الاستعمار الفرنسي التعليم على مسلمي الجزائر، ويفرضه على أبنائه وفي وطنه، فأعجب لشيء واحد يحرم في وطن ويفرض في وطن، ومن عرف الاستعمار معرفتنا به لم يعجب ولم يندهش خصوصًا في وطن كالجزائر لغته العربية ودينه الإسلام، وطن أنهكه الاستعمار»[4].

1- الإبراهيمي، عيون البصائر ، ج2، ص 306.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 140.

3- نفسه، ج1، ص 140.

4- الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، ص 238.

واستمرت أساليب الاستعمار في قمع التعليم في الجزائر بشكل مظلم إلى درجة أنّها كانت تفرض رخصًا لكل من يرغب في فتح مدرسة أو كتاب وتزيد في ألم المعلم، وتضيق خناق العيش، يقول: «فقدر –أنت- أنّ هذا الطالب المسكين، إنما يفتح المكتب لينتعش بأجرة تعليم القرآن، أو ليقوت عياله بأجرة تعليم القواعد البسيطة من العلم، فهل يعامله الجوع والحاجة هذه المعاملة البطيئة؟ وهل يعذره الجوع والحاجة إلى أنْ تتم الإجراءات؟»[1]، أسئلة موجهة إلى ضمير المستعمر، وكلن الضمير عنده غائب.

ولا تزال سياسة الاستعمار المخربة للتعليم تسري في الجزائر خاصة عندما فتحت أبواب المدارس الفرنسية لبعض أبناء الجزائريين ليتلقوا تعليمًا حسب أهوائها ورغباتها، تعليمًا ناقصًا خاضعًا لسياسة عنصرية هدفه تجريد الجزائري من دينه ولغته، وإخضاعه لسلطة فرنسا الفكرية، وهكذا تعمدت فرنسا قتل مبادئ الفكر والأصالة في النفوس فلا هي تركت الشعب يتعلم بنفسه ولا هي علّمته الأصول على حقيقتها، فكانت بذلك: «بمنزلة الهرة التي دخل صاحبها النار بسببها، لأنّه لم يطعمها، ولم يدعها تأكل من خشاش الأرض، فلا أنت علّمت الدنيا، ولا أنت سمحت لنا بتعليم الدّين»[2]. أيها المستعمر الخبيث.

وكلّ هذه المقومات وردت عن وعي تام بقيمة العملية التعليمية وخبرة عميقة في مجال التدريس والتعليم، وتنسيق منظم بين مختلف البرامج التربوية التثقيفية، ومنهج محكم بمختلف الضوابط التربوية.

1- الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، ص 236.

2- نفسه، ج2، ص 238.

ونصل إلى القول بأن البشير الإبراهيمي احتل الصدارة بين علماء عصره، من خلال مجهوداته، التي أحدثت تغييرا في فكر الجزائريين في جميع الأصعدة، فخطبه المتنوعة أحدثت ثورة عارمة، في شتى مجالات الحياة من سياسية، دينية، وتربوية، لنكون بذلك قد أعطينا صورة واضحة عن قضايا خطبه والتي اعتمد فيها على آليات الحجاج المختلفة لبلوغ مقاصده وإقناع متلقيه.

الفصل الثالث

آليات الحِجاج في خُطب البشير الإبراهيمي

1- عناصر العملية التَّخاطُبية.

2- الآليات الحِجاجية.

تمهيد:

القارئ لخطاب "محمد البشير الإبراهيمي" يجده يزخر بالآليات الحجاجية المتعددة والمختلفة، سواء أكانت هذه الأساليب تعابيرًا مجازية أو صورًا بديعية أو تلاعبات تركيبية، فإنّها وُظّفت من أجل خدمة غرضه الأساسي وهو الإصلاح، فغرض العلامة هو الذي يَقُوده بشكل أو بآخر إلى سرد عصبة من الأساليب البلاغية خدمة لهذا الغرض، وما وراء هذا الغرض ألا وهو الإقناع والتأثير في الغير، وقد دعا "البشير الإبراهيمي" بكل ما أُوتي من براعة في القول، وعبقرية في الفكر، وإرادة في التغيير، وما إلى ذلك من الصفات.

وقد سعى "الإبراهيمي" بخطى ثابتة إلى بلوغ هدفه الحجاجي، يحاول من خلاله تغيير وإصلاح مجتمعه، والتّأثير فيهم إمّا ترغيبًا أو ترهيبًا، لذا كان لزامًا على "الإبراهيمي" أنْ يستخدم وسائل بلاغية ولغوية التي تُزين خطابه وترفد هدفه الحجاجي الإقناعي في آنٍ واحد، وهذا ما سيكون له نصيب الأسد من الدّراسة في هذا الفصل.

1- عناصر العملية التخاطبية:

العملية التواصلية تتم بين عنصرين أساسيين هما: المرسل والمرسل إليه (المتكلم والسّامع)، من أجل تحقيق هدف معيّن لأنّ «التخاطب هو إجمال، عبارة عن إلقاء جانبين لأقوال بغرض إفهام كلّ منهما الآخر مقصودًا معينًا»[1]، ويكون هذا ضمن إستراتيجية الخطاب الذي يُعرِّفها "الشهري" قائلاً: «عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذ المرسل للتلفظ بخطابه من أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده التي تُؤدي إلى تحقيق أهدافه، من خلال استعمال العلامات اللّغوية أو غير اللّغوية، وفقًا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوّعة»[2].

نستنتج أنّ (المرسل) هو المسؤول عن إنتاج الخطاب ضمن قصد معين، وبهذا فإنّ التواصل سواء أكان حجاجيًا أم لا، لابدّ له من توافر العوامل التّالية لتحقيقه.

1/ إنسان مرسل.

2/ إنسان ملتقط.

3/ إقامة الاتصال بين المرسل والمتلقي.

4/ لغة مشتركة.

5/ مرسلة لغوية.

6/ محتوى لغوي.

سنحاول تحديد عناصر العملية التواصلية في المدونة المدروسة:

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 62.

2- نفسه، ص 65.

1-1- المرسل (المتكلم):

والمرسل هو الذي وقع الكلام... بحسب أحواله عن قصده وإرادته واعتقاده، وغير ذلك من الأمور الرّاجعة إليه حقيقة أو تقديرًا[1]. لهذا اهتم علماء اللّغة والبلاغة به لأنّه قارئ القرآن وخطيب الأمة وشاعر القوم، وهذه التشريفات بحاجة إلى لسان فصيح بين مؤثر في المتلقي، فالمتكلم الفصيح هو من غابت فيه العيوب الكلامية، التي من شأنها أنْ تُعيق عملية التّواصل، فيُذم صاحبها في خطابه العادي، ويزداد عليه الذّم في الخطاب الجدلي، يقول الجاحظ: «وهم يذمون الحصر ويُؤنبون الغي، فإن تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء وتعاطيًا مناظرة البلغاء، تضاعف عليهما الذّم وترادف عليهما التأنيب»[2]، ولذلك على المتكلم أنْ يتفادى هذه العيوب ليحقق غرضه في نفس المتلقي ويساعده على التصديق والإقناع، ويعتبر "محمد البشير الإبراهيمي" منتج الخطاب فهو "محمد بن البشير بن عمر الإبراهيمي"، وُلد في شهر شوال سنة ستة وثلاثون مائة وألف للهجرة، المواقف للرابع عشر من شهر يونيو 1889م[3]، في قصر الطير في قبيلة ريغة الشهيرة "بأولاد إبراهيم" بدائرة سطيف، والتي يرتفع نسبها إلى "إدريس بن عبد الله"[4]، نشأ الشيخ في بيت علم وأدب، فوجد الرِّعاية والعناية لصقل مواهبه، وتهيئتها لتلقي فنون العلم والآداب.

1- عبد القاهر الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن)، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق: محمد التنجي، دار الكتاب، بيروت، ط3، 1999م، ص 384.

2- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 07.

3- محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988م، ص33.

4- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980م، ص13.

اهتم والده بتربته وتعليمه المبادئ الأولية من القراءة والكتابة وشمله بالرِّعاية والتربية الحسنة، أدخله بعد ذلك كتاب القرية ليحفظ القرآن الكريم على الطريقة التقليدية المتّبعة حينئذٍ وعمره لم يتجاوز السنة الثالثة[1]، فأسس مع زميله في الكفاح "عبد الحميد بن باديس" جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م، وظل يُكافح ويُصلح أبناء الشعب الجزائري من خلال مقالاته ورسائله وخُطبه التي كانت تهزّ المنابر بكلمة الحق والدِّفاع عن الإسلام والعروبة ببرهانه وحججه القوية[2]، إلى أنْ وافته المنية يوم 19 ماي 1965م[3]، أمّا عن آثاره فجزءًا بقي مخطوطًا ولم يعرف طريقه إلى الطبع في حياته إلاّ كتاب عيون البصائر[4]، أمّا بعد وفاته حاول ابن الشيخ البشير الإبراهيمي جمع كل آثاره في كتاب بعنوان "آثار الإمام البشير الابراهيمي" في خمسة أجزاء وتعدّدت فيه الأنواع النثرية كالمقالات والمقامات والرسائل والخطب... إلخ، وأخص الذكر في هذه المدونة بفن الخطابة، فاخترت من بين هذه الأجزاء خطب منها السياسية والدينية والأدبية.

1-2- المرسل إليه (المتلقي):

المرسل إليه هو الذي وقع عليه أو إليه الكلام، لهذا لابدّ عليه أنْ يُساهم في نجاح العملية التّواصلية بإصغائه الحسن وتدخلاته في إعانة المتكلم لتوضيح مقصوده ، «فنشاط القائل على قدر فهم السّامع»[5]، إذ له دور مهم في إبراز ملامح الحجاج بل يكون سببًا في إنشائه. ففي هذه المدونة نجد أنّ الخطاب موجه إلى الشعب الجزائري بصفة خاصة

1- محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، ص 33.

2- نفسه، ص 39.

3- محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبًا، البصائر، وهران، الجزائر، (دط)، (دت)، ص 62.

4- نفسه، ص 71.

5- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص 77.

والشعوب العربية بصفة عامة، وذلك لوقوفهم تحت وطأة الاستعمار الذي عمل على التشريد والتقتيل وطمس الهوية واللغة العربية، فيحاول الإبراهيمي بنصحه وإرشاده إيقاظ هممهم للتخلص منه.

1-3- القصد (المقام):

فهو «ركيزة الخطاب فلا وجود لخطاب بدون قصد، وله دور في تقنين مسارات النقاش والحجاج»[1]، فنلتمس قصد الإبراهيمي من خلال خطبه إلى إقناع المتلقي لذلك لجأ إلى عدّة آليات تتكامل فيما بينها لتحقق الغرض، وهذا ما سنتعرف عليه في هذا الفصل، وقد تضمنت هذه المدونة مجموعة من خطب الإبراهيمي المتنوعة منها السياسية؛ كالتي ألقاها أمام الوفود العربية والإسلامية في الأمم المتحدة بباريس سنة 1952م، وأخرى دينية, كالتي ألقاها في حفلة تكريم للشيخ عبد الحميد بن باديس –رحمه الله- بمناسبة اختتامه لتفسير القرآن الكريم، أمّا الخُطب الثقافية والتّربوية؛ كالكلمة التي ألقاها في مجمع اللّغة العربية بالقاهرة باسم الأعضاء الجدد.

2- الآليات الحجاجية:

2-1- الآليات البلاغية:

تعدّ البلاغة آلية من آليات الحجاج، وذلك لاعتمادها الاستمالة التأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية والأساليب الجمالية: أي إقناع المتلقي عن طريق استمالة تفكيره ومشاعره معًا حتى يتقبل قضية ما.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 187.

«يعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصومة لا تختص بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطاوعة حسب استعمال المرسل لها، إذ يختار حججه وطريقة بنائها بما يتناسب مع السياق الذي يحف بخطابه»[1].

ويَعمد المرسل إلى توظيف هذه الآليات والأساليب البلاغية بخصائصها وإمكانياتها الإقناعية، فتكون بمثابة قوالب تنظم الحجج، فتُعينه على تقديم حججه في الهيكل الذي يتناسب والسياق الذي ترد فيه.

«الأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية، بل تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية، من هنا يتبين أنّ معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية وإنجاز مقاصد حجاجية»[2].

إذن للبلاغة دورٌ حجاجي كبير، وتتمثل أهميتها بأنّها «ما تعطف له القلوب النافرة ويُؤنس القلوب المستوحشة، وتُلِّينُ به العريكة الأبيّة المستعصية ويبلغ به الحاجة، وتُقام به الحجة، فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب من غير أنْ تهيجه وتقلقه، وتستدعي غضبه وتستشير حفيظته»[3].

2-1-1- الاستعارة:

إنّ الخطاب النثري كغيره من الخطابات يتميز بآلية إقناعية، والاستعارة تعدّ من أهم خصائصه، لأنها تُسهم في بنائه الحجاجي بهدف الإقناع والتأثير في المتلقي. ويمكن

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 476.

2- صابر الحباشة، التداولية والحجاج ومداخل ونصوص، صفحات للطباعة والنشر، سورية، ط1، 2008م، ص 50.

3- أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله)، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1404هـ/1984م، ص 62.

أنْ نخلص إلى نوعين من الاستعارة: الاستعارة البديعية، وأخرى حجاجية وهي النّوع الأكثر انتشارًا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التخاطبية والتواصلية، ونجدها في اللغة اليومية وفي الكتابات الأدبية، أمّا الاستعارة البديعية فهي مقصودة لذاتها، ولا ترتبط بالمتكلمين ومقاصدهم وأهدافهم، وإنما نجدها عند بعض الأدباء والفانين الذين يهدفون من ورائه إلى إظهار تمكنهم من اللغة[1].

إنّ الاستعارة الحجاجية هو ما يعنينا لأنها تُضفي على النص جوًا من تداعي الأفكار والتذكر[2]، فالنّص عبارة عن بنى لغوية ذات أشكال بلاغية تحدث تأثير على السامع بواسطة وسائل يستخدمها المتكلم.

إذن فالاستعارة الحجاجية هي: «استعارة تدخل ضمن الوسائل اللّغوية التي يشغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، فالاستعارة الحجاجية هي النّوع الأكثر انتشارًا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية»[3].

ونجد الإبراهيمي من خلال دراسة خطبه يتناول الاستعارة الحجاجية بكثرة لاحتوائها لمعنى الادعاء كفعل حجاجي، جعلها بكل جدارة تكتسي عباءة حجاجية، وبالطبع كان لخطاب" الإبراهيمي" حظ لا بأس به من هذه الاستعارات الحجاجية، سعى من خلالها إلى إقناع الغير، وكسب أكبر عدد من الجماهير في صفِّه، وكمثال عن ذلك نذكر منها قوله: «**ولا يداخل نسبتها إقراف ولا هجنة، فلنعمل للغّتنا بأنفسنا ولنسكب عليها عصارة**

1- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 109.

2- ينظر: عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة البنوية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012م، ص 66.

3- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 108.

أرواحنا ولنضاعف جهودنا»[1]. الحجة: ولنسكب عليها عصارة أرواحنا ولنضاعف جهودنا، جاء هذا القول على شكل حجة قوية ليقنع المتلقي بأنْ يعمل بكل ما لديه من قوة لأجل اللغة العربية وليس فقط أعضاء المجمع، بل يجب علينا نحن أيضًا أنْ نُدافع ونحمي لغتنا من أي ضرّ قد يمسّها، ليدعم النتيجة, وهي العمل للغتنا بأنفسنا.

ويقول أيضًا: «**ها هو الشرق رمى باريس بأفلاذ كبده، يُدافعون عن حماه بالحق**»[2].

الحجة: الشرق رمى باريس بأفلاذ كبده.

ففي هذا القول احتج "البشير الإبراهيمي" باستعارة ليصل إلى إقناع المتلقي بأنّ الشرق رمى فرنسا بأفلاذ كبده كما تُرمى الكرة ليصل لدعم النتيجة وهي اجتماع الوفود العربية بباريس.

ومن قوله كذلك: «**وإنّ تغيير الممالك لصعب، وإنّ فطام الملوك عن لذة الملك لأصعب منه؟**»[3].

الحجة: وإنّ فطام الملوك عن لذة الملك لأصعب منه؟

جاء هذا القول عبارة عن حجة وهي استعارة ليقنع المتلقي بأنّ صعوبة مفارقة الملك مثل الطفل الصغير لا يستطيع مفارقة حليب أمه.

ويقول كذلك :«**وقوى الإرادات، ومكّن للخير في النفوس، وغرس الإيمان في الأفئدة**»[4].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 264.

2- نفسه، ج2، ص 466.

3- نفسه، ج2، ص 471.

4- نفسه، ج1، ص 363.

الحجة: وغرس الإيمان في الأفئدة.

نجد في هذا القول جاء عبارة عن حجة وهي استعارة تبين فضائل القرآن الكريم، حيث قام بغرس الإيمان مثلما تُغرس الشجرة في الأرض وصعوبة انتزاعها وهي حجة قوية لما لها من التأثير في المتلقي واستمالته.

إذن نُلاحظ من خلال الاستعارة الحجاجية التي تضمنتها خُطب البشير الإبراهيمي أنها في المقام الأول في الحجاج لأنها تُساهم بجزء كبير في بناءه، لأنّه لجأ إليها من أجل تحقيق أهدافه وهو إقناع واستمالة المتلقي، لذلك جعلها النقاد من الآليات الضرورية في بناء الخطاب الحجاجي من ناحية «الاستدلال والتأثير والإقناع»[1].

2-1-2- الكناية:

يُعرف العسكري الكناية بقوله: «وهو أنْ يُكنّى عن الشيء، ويعرض به ولا يصرح به»[2].

الكناية تعدّ من وسائل الحجاج التي تؤدي إلى إثارة الذهن وتستدرجه للحصول معلى المعنى المتخفي وراء الصورة، فخطب "البشير الإبراهيمي" لا تخلو من التكنية لكي يجعل المتلقي يشاركه فكرته، ومن أمثلة ذلك ما يلي: «**فأصبح ملهاة آذان ومشغلة لسان، أصبح حفاظها يقرؤونه للتبرك أو يتجرون به في المقابر وأعوامها ينزلونه منزلة البصل والكراث**»[3].

النتيجة: القرآن أصبح ملهاة آذان ومشغلة لسان.

1- دلال وشن، تداولية الاستعارة الحجاجية لنص الرثاء، مرثية متمم بن نويرة، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب العربي، جامعة بسكرة، الجزائر، (دت)، ص 132.

2- ينظر: أبي هلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، ص 407.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 362.

الحجة الأولى: أصبح حفاظها يقرؤونه للتبرك أو يتجرون به في المقابر.

الحجة الثانية: أعوامها ينزلونه منزلة البصل والكراث.

الحجتان كناية عن صفة وهي السخرية وهو جعل القرآن سخرية وليس كلامًا مقدسًا، ليؤكد بذلك نتيجة أنّ القرآن أصبح ملهاة آذان ومشغلة لسان.

ويقول أيضًا: «**أصبحنا في درجة من الضعف المادي والضعف العقلي نعتقد فيها، أنّ الله خلقنا خلقة الأرنب، وخلقهم خلقة الأسد**»[1].

النتيجة: أصبحنا في درجة من الضعف المادي والضعف العقلي نعتقد فيها:

الحجة الأولى: أنّ الله خلقنا خلقة الأرنب.

الحجة الثانية: وخلقهم خلقة الأسد.

الحجتان كناية عن صفة الضعف والقوة وهو أنّ الشعب الجزائري يملكه الضعف العقلي حتى أصبح يظن أنّ الله خلقه ضعيفًا.

2-1-3- التشبيه:

التشبيه آلية من آليات البلاغة يقوم على الرّبط بين عنصرين من مجالين مختلفين، فيقوم المتلقي باستنتاج الحالة التي ورد فيها التشبيه، والقدرة التي يجليها التشبيه هو تقريب المعنى من المتلقي فتجعله يذعن للمتكلم وتبرز أهميته في كونه: «يزيد المعنى وضوحًا ويكسب تأكيدًا، ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ولم يستغني أحد

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 471.

منهم عنه»[1]، أمّا القيمة التداولية للتشبيه وهي الجمع بين قصد المتكلم وهدفه الذي يصبوا إليه، ومن هذا نستنتج أنّ التشبيه «لا يصار إليه إلاّ بغرض»[2].

وقيمة التشبيه لا ترجع فقط للعلاقة بين طرفيه ولا يُؤتى به ليكون زينة زخرفية تحسينية ولا حلية لفظية، وإنما ليزيد المعنى وضوحًا فيقتنع به المتلقي، لتعبير عن نفسه وتصويره لما يدور في خاطره وعقله وتقريبه للمسافات بين ما هو محسوس وما هو ملموس، وهذا ما جاء به الدّرس الحجاجي المعاصر، إذ جعل من قيمة التشبيه في حجاجيته وإقناعيته.

وتظهر الخصائص الإقناعية للتشبيه الخطابي في كونه من أهم طرق الاستدلال والمحاجّة في سبيل الوصول إلى الحقائق، فيسوق الخبر مقرونًا بالحجّة، ليلقى قبولاً واستجابة من المخاطبين متجنبًا ذلك طريقة السرد المباشر.

فالتشبيه يُنير السبيل لتجلية الحقائق والاقتناع بها، وقد ورد التشبيه في خطب "الإبراهيمي" بكثرة من أجل إقناع المتلقي وتوضيح فكرة معينة، وقد يرد على شكل نتيجة، وقد يرد على شكل حجج، أمثلة ذلك كثيرة في خطب الإبراهيمي، نذكر ما يلي: **«... وتعاونا على الأمم البرّة، التعاون على البرّ كالتعاون على البِرِ»**[3].

فقد جاء هذا القول على شكل نتيجة لحجج طرحها "الإبراهيمي":

النتيجة: التعاون على البَّرِ كالتعاون على البِرِ.

حيث شبّه تعاون أعضاء المجمع وعلى ضم أقطار العربية وتعاون على الأمم البَرَة، تعاون على البِر فكل منهما خصال حميدة.

1- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، ص 265.

2- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 332.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 295.

و كذلك نجد: **«... من جميع أقطار العروبة، هي الرحم الواصلة بيننا وهي اللُحمة الجامعة لخصائصها وآدابنا»**[1]. فقد جاء هذا القول على شكل حجج.

الحجة الأولى: هي الرحم الواصلة بيننا.

الحجة الثانية: هي اللُحمة الجامعة لخصائصنا وآدابنا.

النتيجة: اللغة العربية الشريفة.

فقد شبّه الإبراهيمي اللّغة العربية الشريفة بالرحم الواصلة واللُّحمة الجامعة لما لها من قوة في توحيد العرب مع بعضهم البعض كعائلة واحدة.

ويقول أيضًا: «**أيها الإخوان: إنّ اللّغة العربية كالدين يحملها من كل خلف عدو له**»[2]. جاء هذا القول على شكل نتيجة:

النتيجة: إنّ اللغة العربية كالدين يحملها من كل خلف عدو له.

الحجة الأولى: لينفوا عنها تحريف الغالين.

الحجة الثانية: وزيغ المبطلين.

الحجة الثالثة: وانتحال المؤولين.

حيث يُبرر "الإبراهيمي" بأنّ اللّغة العربية كالدين يكون من خلفه أعداء، ويجب على أعضاء المجمع أنْ ينفوا عنها كلّ تحريف وتنكر لهذه اللّغة.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 292.

2- نفسه، ج5، ص 294.

ومن قوله كذلك: «**ثم يجتمعون في هذه الليلة وفي هذه البلدة على غرة وعلى غير ميعاد، كما تجتمع أشتات الزهر في إبانها وفي مكانها**»[1]. جاء هذا القول على شكل حجة

الحجة الأولى: كما تجتمع أشتات الزهر في إبانها وفي مكانها.

الحجة الثانية: تختلف منها الألوان والأشكال.

الحجة الثالثة: ويجمعها الشذى والطيب والجمال.

النتيجة: اجتماع الوفود العربية.

إذن "الإبراهيمي" شبّه اجتماع الوفود العربية بعدما كانوا متفرقون من جراء الاستعمار، مثل اجتماع أشتات الزهر بالرغم من اختلاف ألوانها وأشكالها، لكن الغاية واحدة ألا وهي تحرير الأوطان المستعمرة.

فالتشبيه إذن من آليات الحجاج البلاغي، فهو يأتي على شكل نتيجة مدعم بواسطة مجموعة من الحجج، أو يأتي كحجة ليدعم النتيجة التي تكون صريحة (خالية من التشبيه).

2-1-4- الإيجاز والإطناب:

2-1-4-1- الإيجاز:

يعتبر الإيجاز من أهم الآليات البلاغية، أمّا جانبه الحجاجي فيُمثل سلاحًا لمواجهة آفتين وهما النسيان وعدم الانتباه، وهذا ما أكدته "سامية الدريدي" «الإيجاز هام من زاوية تعنى بالحجاج لأنّه يُشكل سلاحًا نواجه به العدوين القاتلين النسيان وعدم الانتباه، فالتطويل في الوصف والتصوير والإسهاب في الشرح والتعليل ينتهيان بالمتلقي إلى الملل فتضعف

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 466.

قدرته على الانتباه ولا يحتفظ من القول إلاّ أقله»[1]. إذن هو وسيلة من وسائل التأثير وإقناع المتلقي.

ونجد " البشير الإبراهيمي" وظّف الإيجاز لشعوره بالإطالة و لكي لا يكثر على القارئ فهرب إليه، ومن أمثلة ذلك: «**علمنا بانتصار الفئة القليلة على الكثيرة بإحسان التدبير، وإحكام الرأي، ولطف التحيل**»[2].

النتيجة: انتصار الفئة القلية على الكثيرة.

الحجة الأولى: بإحسان التدبير.

الحجة الثانية: إحكام الرأي.

النتيجة الثالثة: لطف التحيل.

ركّز "الإبراهيمي" في هذا المثال على أنّ الفئة القليلة دائمًا تغلب الكثيرة وذلك بحسن التدبير وإحكام الرأي ولطف التحيل، فهو يقنع بهذا القول المتلقي ويؤكد له فكرته أنّ القِلّة دائمًا تغلب الكثرة.

ويقول أيضًا: «**إنّ الكلام لطويل، وإنّ الوقت لقصير، فليكن آخر ما نتواصى به : الحق والصبر والإتحاد**»[3].

النتيجة: إنّ الكلام لطويل، وإنّ الوقت لقصير.

الحجة الأولى: الحق.

الحجة الثانية: الصبر.

الحجة الثالثة: الاتحاد.

1- ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 123.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 84.

3- نفسه، ج2، ص 472.

نجد "البشير الإبراهيمي" في هذا القول ركّز على الغرض الذي تناوله بين مضامين خطبته بالتفصيل، وقد انبثقت عن الغرض المعاني الأساسية في النتيجة وهي الحق والصبر والإتحاد، وهي ألفاظ متشعبة المعاني.

ويذكر "الإبراهيمي" :«**أرجوكم أن نتأدب بأدب جديد وهو الاقتصاد في المجاملات والألقاب وتقارض الثناء**»[1].

النتيجة: نتأدب بأدب جديد.

الحجة الأولى: الاقتصاد في المجاملات.

الحجة الثانية: الألقاب.

الحجة الثالثة: تقارض الثناء.

ركّز "الإبراهيمي" في هذا المثال على وجوب التأدب بأدب جديد، لذلك عرض حجته لإقناع المتلقي.

2-1-4-2- الإطناب:

ويعدّ الإطناب من أهم الآليات البلاغية، وهو التعبير عن عبارة بجمل كثيرة لترسيخ فكرة أو شرحها، ونجد "الإبراهيمي " قد وظّفه كثيرًا في خُطبه المذكورة سابقًا، لكي يقنع متلقيه، نذكر منها: «**إنّ الاستعمار متهمكم جميعًا، فمنتقم منكم جميعًا إنْ انتصر، وإنّه لا يبعد على لؤم الاستعمار وحقده إذا انتصر**»[2].

النتيجة: إنّ الاستعمار متهمكم جميعًا.

الحجة الأولى: فمنتقم منكم جميعًا إنْ انتصر.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 80.

2- نفسه، ج5، ص 220.

الحجة الثانية: لا يبعد على لؤم الاستعمار وحقده إذا انتصر.

نجد الإبراهيمي يطنب في عرضه للحجج من أجل إقناع المتلقي بأنّ الاستعمار ملقي اللوم على الشعب الجزائري في كلتا الحالات، سواء منتصرًا أم منهزمًا، و كما يقول "الإبراهيمي": «**الاستعمار كلّه رجس من عمل الشيطان، ولكن الاستعمار الفرنسي هو المثل الأسفل من أعمال الشياطين، وكأنّ الشيطان استعرض أتباعه وامتحن أشياعه**»[1].

النتيجة: الاستعمار كلّه رجس من عمل الشيطان.

الحجة الأولى: الاستعمار الفرنسي هو المثل الأسفل من أعمال الشياطين.

الحجة الثانية: الشيطان استعرض أتباعه وامتحن أشياعه.

نجد "الإبراهيمي" يطنب في عرضه لحجج من أجل إقناع المتلقي بأنّ الاستعمار رجس من عمل الشيطان.

ويقول أيضًا: «**إنّ هذه الأمّة استقامت في مراحلها الأولى على هدي القرآن وعلى هدي من أنزل عليه قلبه فبيّنه بالأمانة، وبلغه بالأمانّة وحكم به بالأمانة وحكمه في النفوس بالأمانة وعلّم وزكّى بالأمانة**»[2].

النتيجة: هذه الأمة استقامت في مراحلها الأولى على هدي القرآن وعلى هدي من أنزل على قلبه.

الحجة الأولى: فبيّنه بالأمانة.

الحجة الثانية: بلّغه بالأمانة وحكم به بالأمانة.

الحجة الثالث: وحكمه في النفوس بالأمانة وعلّم وزكّى بالأمانة.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 229.

2- نفسه، ج4، ص 94.

نجد العلاّمة الإبراهيمي يطنب في عرض حججه من أجل لإقناع المتلقي بأنّ الأمّة لا تهتدي إلاّ بالقرآن لأنّه يبعد عن الضالات، ومنزل القرآن لأنّه ذا خصال حميدة ونبيلة.

كما يقول كذلك: «... **ولا أثرت الأديان الرّاحلة إليه، جزء مما أثر الإسلام... أمّا الإسلام فقد جاء بالعدل والإحسان، وجاء لإقرار الإنسانية بمعناها الصحيح في هذه الأرض**»[1].

النتيجة: ولا أثرت الأديان الرّاحلة إليه جزء مما أثر الإسلام.

الحجة الأولى: أمّا الإسلام فقد جاء بالعدل الإحسان.

الحجة الثانية: جاء وافيًا بمطالب الرّوح، ومطالب الجسد.

الحجة الثالثة: جاء لإقرار الإنسانية بمعناها الصحيح في هذه الأرض.

نجد "الإبراهيمي" يطنب في عرضه للحجج من أجل إقناع المتلقي بأنّ الإسلام، جاء بكل ما تحتاجه الإنسانية من حاجيات معنوية و مادية ، وتأكيده على ذلك لدى السامع فيكثر التمثيل على ذلك.

2-1-5- البديع:

ويعدّ البديع من وحدات النّص المقابلة للاستعمال في خطابات وسياقات مختلفة، ذلك أنّ للأشكال الصوتية والموسيقية دورًا في الإقناع النصي باعتبارها نشاطًا يجري ويحث ويكون قادرًا على إنتاج دلالات وتأويلات، فهي عناصر أساسية في بناء حجاجية النص لقدرتها على إقناع العقول والأذهان واستمالة النفوس، فهي أحد فروع البلاغة الهادفة إلى إقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد، حتى لو تخيل الناس غير ذلك.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 467.

ويندرج تحت إطار البديع: الطباق، السجع، المقابلة وغيرها، ونقتصر في هذه المدونة على الطباق والسجع والمقابلة.

2-1-5-1- الطباق:

يُعرّف الطباق بأنّه الجمع بين متضادين، أي معنيين متقابلين في الملفوظات.

ويقوم الطباق على إيجاد علاقة ظاهرة أو خفية بين معنيين متضادين في الملفوظ الواحد، مع وجود نوع من التناسب بينهما، يسوّغ الجمع بينهما لإفادة غرض ما[1].

استعمل البشير الإبراهيمي العديد من أمثلة الطباق على شكل ثنائيات متزاوجة منها قوله في خُطبته التي ختم بها حفلة تكريم الأستاذ ابن باديس: «**بعقائدهم وسطا بين التناهي والتقصير، وبزكاتهم المرضية حكما بين الغني والفقير، وبرحمة الإسلام بين الآجر والأجير، وإذا لزرعتهم في طول العالم وعرضه الخير والرحمة، وكشفتم عن أقويائه وضعفائه كل كرب وغمة**»[2].

(التناهي ≠ التقصير).

(الغني ≠ الفقير).

(طول ≠ عرض).

(أقويائه ≠ ضعفائه).

ففي هذا المثال جاء الطباق على شكل ثنائيات وكل ثنائية نعتبرها حجة من أجل إقناع المتلقي للعمل بالإسلام لأنّ بواسطته تُحل كل المشاكل والعراقيل التي تواجهنا في حياتنا اليومية.

1- ينظر: عبد القادر حسين، فن البديع، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1403هـ/1983م، ص 45.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص ص 364، 365.

وقوله في خطبته أما الوفود العربية الإسلامية: **«... وهيهات أن يدعوها عاصمة النور من لم تغشه منها إلاّ الظلمات، وهيهات أن يُلقبها دار المساواة من لم تعامله إلاّ بالإجحاف»**[1].

(النور ≠ الظلمات).

(المساواة ≠ الإجحاف).

جاء الطباق في هذا المثال على شكل ثنائيات، وحجاجية هذا الطباق تتمثل في إثبات قدرة الإبراهيمي وهو يقنع المتلقي بأنّ باريس هيهات تُلقب بدار النور وهيهات تُلقب بالظلم وأحيانًا يُطلق عليها بعاصمة المساواة والإجحاف، فهو يُحاول من خلال هذه الثنائيات تبيين حقيقة باريس وهذا التقابل بين المعنيين يُحسن ويُنمِّق وقوع المعنى في ذهن القارئ.

وفي قوله أيضًا: **«... إنّ تلك العصبيات التي كانت تنفع حينًا وتضر أحيانًا»**[2].

(تنفع ≠ تضرّ).

نجد هذا الطباق عبارة عن حجة من أجل استمالة المتلقي بأنّ العصبيات كانت تحتوي على الجانب السلبي والجانب الإيجابي.

كذلك قوله: **«... وقلب يفكّر، وآذان تسمع، وإنّا لنرجوا أنْ تكون قلوبنا غدًا غير قلوبنا بالأمس»**[3].

(غدًا ≠ الأمس).

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 467.

2- نفسه، ج1، ص 364.

3- نفسه، ج2، ص 467.

طباق إيجاب فحجاجية هذا الطباق تتمثل في الدّعوة إلى تغيير الواقع متأمل في غدًا أفضل ومشرق مليء بالتفاؤل.

وفي قول الإبراهيمي كذلك: «**إنّ القوم يحتقرون حاضرنا الذي أوصلنا إليه، ويعتقدون أننا صبيان، فيتذكرون ماضيهم ليبنوا عليه حاضرهم ومستقبلهم، وينكرون علينا ذلك، فمن حقّنا، بل من واجبنا أنْ نعرف ماضينا**»[1].

(حاضرنا ≠ ماضينا).

طباق إيجاب، وفي هذا الطباق يُنادي الإبراهيمي إلى الرجوع إلى الماضي للتعرف عليه لأنّه ساعد على بناء حاضرنا.

ويقول أيضًا: «**فما استفاقوا وما استفقنا إلاّ وأوطاننا مقسمة وقسمتنا هي القليلة، ومما لكنا كثيرة**»[2].

(القليلة ≠ كثيرة).

طباق إيجاب، يُحاول الإبراهيمي من خلال هذه الحجة إقناع المتلقي وكشف الستار عن أعمال العدو الشنيعة من قتل ودمار واستعمال كل أساليب التعذيب، وتقسيمها للأوطان والتفريق بين الشعب.

ويقول أيضًا: «**... ولم يغفلوا الأستاذ والكتاب والراهب والمرأة والتاجر والسمسار حتى بلغوا الغاية في تقسيمنا شيعًا ودولاً، وممالك، كما توزّع قطعة الأرض الكبيرة الصالحة إلى قطع صغيرة، لا تصلح واحدة منها ولا تكفي**»[3].

(الكبيرة ≠ صغيرة).

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 468.

2- نفسه، ج2، ص 470.

3- نفسه، ج2، ص 470.

جاء الطباق في هذا المثال إيجاب على شكل ثنائية نستطيع أن نعتبره حجة من أجل إقناع المتلقي بأنّ فرنسا سرقت منّا كل ممتلكاتنا وقسّمتنا إلى دول وشيع وفرقتنا على بعضنا البعض، فأصبح الكل متشتت.

«... مشكلة الغني والفقير... تكتّلوا ففي استطاعتكم أنْ تتكتلوا... تكتّلوا يمدّكم العصر بروحه... إنّه عصر التّكتل، وأن الأقوياء لم يغنِ عنهم قوتهم شيئًا فأصبحوا يلتمسون أنواعًا من التّكتل مع القريب ومع الغريب، فهذه انجلترا تتكتل وهذه أمريكا...»[1].

(الغني ≠ الفقير).

(القريب ≠ الغريب).

جاء هذا الطباق على شكل ثنائيات وكل ثنائية تعتبر حجة من أجل إقناع المتلقي، "فالإبراهيمي" يُخاطب الوفود العربية والإسلامية في الأمم المتحدة ويُقنعهم بأنّ العصر قد تغيّر لم يَعد كما كان بل أصبح عصر التكتل ، فهو يدو إلى الوحدة بين الشعوب العربية والتعاون فيما بينهم .

2-1-5-2- السجع:

يُعدُّ من المحسنات اللفظية التي تُضفي جمالاً لأسلوب الخطاب، بالإضافة إلى ما تخلفه من إيقاع صوتي أثناء إلقاء الخطبة، إذْ عُرِّف من قبل ابن الأثير بأنّه: «تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد»[2].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج2، ص ص 471، 472.

2- ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، القاهرة، مصر، (دط)، ص 210.

وجاء به "البشير الإبراهيمي" لغاية حجاجية وهي إقناع المتلقي لما يحمله من تأثير بليغ يَجذب السّامع، ويُحدِث في النفس ميلاً إلى الإصغاء والمتابعة، ويجعل العبارة على الآذان سهلة ومستساغة، فيجد في النفس القبول، وتتأثر به أي تأثير، وتقع من القلب أحسن موقع، ومن أمثلة ذلك قوله: **«... هذه المنظمة التي سميت بغير اسمها وحليت بغير صفتها، وما هي إلاّ مجمع يقود أقويائه ضعفائه، ويسوق أغنيائه فقرائه»**[1].

اسمها، صفتها.

أقويائه، ضعفائه – أغنيائه، فقرائه.

فجاءت هذه الحجج مسجوعة ليحدث في النفس ميل للإصغاء ويجعل عبارته سهلة ذات نغم موسيقي، ولكي يفهم المتلقي بأنّ منظمة الأمم المتحدة جائرة وعميلة.

كذلك قوله في خطبته في مؤتمر العالم الإسلامي: «**ما دام هذا القرآن موجودًا بين المسلمين، يقرؤونه ويُجلّوه ويضعونه في مكانهم، من التقديس**»[2].

يقرؤونه – يضعونه.

جاء هذا القول بحجج مسجوعة ليزن "الإبراهيمي" خطابه وليؤثر ويجذب السامع أو المتلقي ويقنعه بأنّ وجود القرآن الكريم في نفوس المسلمين دواء لكل داء، فهو يحثُّهم على الرجوع إليه ويضعونه قي مكانة التقديس، فهو كلام الله منزه من أيّ خطأ.

كذلك قوله في خطبته في نادي القلم ببغداد: «**ثم تتوجهوا جّميعًا إلى الوجهة السديدة التي تنفع وتدفع وترفع وتشفع ونشفع**»[3].

تنفع، تدفع، ترفع، تشفع، وتشفع.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 466.

2- نفسه، ج4، ص 79.

3- نفسه، ج4، ص 208.

تَعَمَّد" الإبراهيمي" في سجع حججه لكي يقنع متلقيه بأنّ الوجهة السديدة هي الوجهة الصحيحة التي تدفع عنّا الضّر وتجلب المنفعة، كذلك لكي يزين خطابه ويجعله قريب للآذان.

وقوله أيضًا: «**وأصبح كثير مما نستورده من الكماليات كالضروريات لا نطيق العيش بدونه، فصرنا نأكل الحلوى ونحن في البلوى**»[1].

الكماليات، الضروريات، الحلوى، البلوى.

أراد "الإبراهيمي" من خلال حججه المسجوعة إقناع المتلقي ويحدث في النفس ميلاً إلى الإصغاء والمتابعة وتجعل الآذان تطرب لها، ولكي يبين الوضع الذي أصبحت عليه الأمم إذا أصبحنا نأكل الحلوى ونحن في وضع مزري ونطمع في الكماليات ونحن نفتقر للضروريات.

كذلك نجد قوله: «**... فقد بيّنتم بأيديكم وبمالكم ولوطنكم ودينكم، ولغتكم ولأبنائكم**»[2].

نُلاحظ من خلال هذا المثال أنّ "الإبراهيمي" استعمل السجع كثيرًا لكي يجلب المتلقي ويُغير موقفه ورؤيته و يبلغ حجته وهي الفخر والاعتزاز بأبناء الوطن والدين و اللّغة، لكي لا يستهين بنا العدو.

2-1-5-3- المقابلة:

لا يقتصر المتكلم على توظيف المفردات في حجاجه، بل يتجاوزه إلى توظيف ما هو أوسع قليلاً، من قبيل المقابلة فهي: «أسلوب شائع بحيث يكثر نظمه في استخدامها

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 211.

2- نفسه ، ج 4، ص 207.

ويجعله وسيلة للتأثير في النفوس، وأداة فنية للبيان، وبما أنّ المقابلة تعتمد على الإتيان بما يقابلها، فذلك يسهم حتما في توضيح المعنى، وهذا التوضيح يُساعد على التمييز بين الأشياء ومنه الإقناع في ثوب جمال المقابلة»[1].

تعدّ المقابلة ذات قيمة حجاجية في حالة تحقيق إذعان المخاطّب بإحداث تغيير في رؤيته وموقفه، وكذلك إذا بدا استعمالها طبيعيًا، ولم نقحم إقحامًا وإلا فإنها تعدّ من قبيل الزخرف[2].

يظهر في قوله: «**... هذا الاسم وحواشيه من ماضيه القوي العزيز إلى حاضره الضعيف الذليل**»[3].

قابل الإبراهيمي بين العبارتين: ماضيه القوي العزيز – حاضره الضعيف الذليل، "فالإبراهيمي" قصد من هذا التقابل توضيح معنى اسم مؤتمر العالم الإسلامي من الماضي إلى الحاضر، فهو يُوضح إذ نجده كان يمتاز بالقوة في الماضي بينما في الحاضر ضَعَفُ.

ويقول أيضًا: «**ولا يثبطها هذا عن الاستمالة في علاجه والعمل متضافرين على إزالته بالتّدرج، لأنّ أول مراحل النهضة هو آخر مراحل الانحطاط**»[4].

جاء التقابل بين العبارتين: أول مراحل النهضة – آخر مراحل الانحطاط، يُبرز هذا التقابل أنّ الفشل لا يُثبط بل يزيد من القوة والمثابرة والعمل متضافرين على إزالته لأنّه في الاتحاد قوة، "فالإبراهيمي" يُبين للأمم أنّ آخر الانحطاط هو بداية لنهضة جديدة.

1- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 299.

2- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 499.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 77.

4- نفسه، ج4، ص 79.

ويقول أيضًا في خطبته لا يصلح آخر هذه الأمة إلاّ بما صلح به أولها: «**هذا القرآن هو الذي صلح عليه أول هذه الأمة وهو الذي لا يصلح آخرها إلاّ عليه...**» [1].

التقابل جاء بين العبارتين: صلح عليه أول هذه الأمة – لا يصلح آخرها إلاّ عليه.

فالقرآن الكريم إذن هو الذي يصلح الأمة ويُنير دربها وطريقها، لذلك لابدّ على كلّ فرد أن يسلح به.

ويقول أيضًا: «**ويسمونهم العقلاء أو الأمناء، ولهم في كل قرية دار الأمناء يجتمعون فيها كل يوم ثلاثاء لدرء المفاسد وجلب المصالح**»[2].

جاء التقابل بين اللفظتين: درء المفاسد – جلب المصالح.

يبرز هذا التقابل أنّه لكل قرية أمناء وعقلاء يجتمعون كل يوم ثلاثاء يتناقشون حول مصير الأمة ومشاكلها، يردؤون المفاسد ويجلبون المصالح.

نخلص في الأخير أنّ المحسِّنات البديعية لها دور مهم في العملية الإقناعية، وهي التبليغ والتوضيح واستمالة المتلقي، لما تحمله من تأثير بليغ يجذب السّامع، وكما يحدث في النفس ميلاد إلى المتابعة والإصغاء.

2-1-6- الشّاهد والمثل:

الشّاهد والمثل من الحجج القوية التي يستدل بها المتكلم من أجل صحة أقواله وإقناع متلقيه والوصول إلى هدفه وهو عند "أرسطو" الحجج الجاهزة أو غير الصناعية ويدخل في نطاقها القوانين والشهود والاعترافات وأقوال الحكماء، وتختص إجمالاً

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 95.

2- نفسه، ج4، ص 96.

بالخطابة القضائية، أمّا في الخطابة العربية تضمين الآليات القرآنية والأحاديث وأبيات الشعر والأمثال والحكم[1].

وقد اعتمد عليها "الإبراهيمي" في خطبه وهي شواهد من القرآن وأبيات من الشعر استخدمها ليقنع متلقيه .

2-1-6-1- الشاهد:

2-1-6-1-1- شواهد من القرآن الكريم:

«**فمحمد بن عبد الله قبل أنْ يكون رسوله و في القرآن الكريم « ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾**[2]**، ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾**[3] »[4]، "فالبشير الإبراهيمي" استدل بهذين الآيتين لأنهما أقوى حجتين، لأنّ المتلقي عندما يسمع كلام الله لا يمكن أن يشك في صحته ولكي يصل إلى هدفه في أنّ النبوة هي أكمل الخصائص الإنسانية، وأشرف المواهب الإلهية.

كما جاء في خطبته : « **ومن معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾**[5]**، وأنا الضمين لكم أنهما يتحاجان ويتسامعان في طرفة عين، إنّ دينكم دين إصلاح**[6]».

استشهد "الإبراهيمي" بهذه الآية وهي تكسب قوتها من مصدرها ليقنع متلقيه بأنّ الله فضل على هذه الأمّة بالإسلام ، ويجب أنْ يظهروا فضائله للعالم لكي يقتدوا به.

1- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 90.

2- سورة ص، الآية 41.

3- سورة ص، الآية 45.

4- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 464.

5- سورة يونس، الآية 58.

6- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 365.

ويقول أيضًا في خطبته عبرة من ذكرى بدر: «**من الذين قال فيهم القرآن: ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾**[1]»[2].

"فالبشير الإبراهيمي" استدل بهذه الآية الكريمة لأنها أقوى حجة، فالمتلقي عندما يسمع كلام الله لا يمكنه أنْ يشك في صحته ولكي يصل إلى هدفه في أنّ غزوة مجموعة من مواقف للاعتبار والأذكار، ومواطن للتأمل والاستبصار.

ويقول أيضًا: «**... ولما ظهرت هذه السنة عمليًا في بدر، جاء القرآن بتقريرها علميًا في سورة الأنفال: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ(65) الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**[3]»[4].

استشهد الإبراهيمي بهذه الآية لأنها أقوى حجة، مأخوذة من القرآن الكريم، ولكي يصل إلى مبتغاه في أنّ الكثرة والقلة لا تهم، ومثاله في عالم الشهود قطعة من حديد توازن بأضعاف حجمها من القطن، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، وهذا ما نستشفه في غزوة بدر، أراد من خلال هذا أن يؤكد للمتلقي أنّ الصبر والقوة والإرادة نحقق بها المعجزات و نصل إلى أهدافنا.

1- سورة يوسف، الآية 105.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 84.

3- سورة الأنفال، الآية 65، 66.

4- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 5، ص 85.

ويقول أيضًا: «**... يوم كان وحده، ويوم كان معه عدد قليل، وجماعة مستضعفة، ولو شاء فعل ذلك ولم يلحق نبيه أذى بدني ولا ألم نفساني، ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (98)﴾**[1]»[2].

تحمل هذه الآية حجة في طياتها، فالإبراهيمي أراد أنْ يقنع المتلقي أنّ الله قادر على كل شيء، فهو لم يلحق بنبيه أي أذى وأنزل عليه الصبر والسلوان والقوة لكي يُبلغ رسالته، فالتسبيح والصلاة تنهى عن كل منكر، لذلك وظف "الإبراهيمي" هذه الآية الكريمة ليُبيِّن ويقنع متلقيه، إذ ضاق صدره فالصلاة هي الملجأ الوحيد.

وكذلك نجد قوله: «**وتمر بالغافل أو يمر بها معرضًا فيكون من الذين قال فيهم القرآن: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾**[3]**والعبرة البليغة لقومنا العرب في زماننا هذا من وقعة بدر هي نصر الله للفئة القليلة على الفئة الكثيرة**»[4].

إذن يعدّ الشاهد القرآني مرجعًا حجاجيًا "للشيخ الإبراهيمي" نظرًا لما يحمله من تأثير وإقناع في مخاطبته، بأنْ يدفعه نحو استنهاض الهمّة لفعل الخيرات.

2-1-6-1-2- شواهد من الشعر:

يستشهد "الخطيب الإبراهيمي" ببيت شعري لأحمد شوقي في خطبته "أمام الوفود العربية والإسلامية في الأمم المتحدة":

«**لاَ يَلُمْ بَعْضكُم على الخَطْبِ بَعْضًا * أيُّها القَوْمُ، كُلّكم أبْرِيَاءُ**

1- سورة الحجر، الآية 97، 98.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 84.

3- سورة يوسف، الآية 105.

4- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 84.

فلندع اللّوم والعتاب جانبًا، ولنفعل ما يفعله الصاحي حين يستيقظ»[1].

استشهد الإبراهيمي بهذا البيت ليقنع بأنّ التلاوم يشغل الشعب الجزائري وكل الشعوب عن قضيتهم الجوهرية والمتمثلة في الحرية، وأنْ يُشمِّروا على سواعدهم ليحققوا النجاح.

ويقول أيضًا: «**وأن يكونوا شبابًا – بالمعنى الذي يملأ هذه الكلمة- حتى يؤدوا امتحانًا في الحياة على منهج المتنبي وطريقته، إذ يقول:**

وأهوى من الفتيـــان كـــل سميدع * نجيب كصدر السِّهمري المقـــوَّمِ

خطت تحته العيس الفلاة وخالطت * به الخيل كُبَّات الخميس العرمرمِ»[2].

أراد الإبراهيمي بهذا البيتين أنْ يقنع بأنّ الشباب هم الذين عليهم أخذ العبر من الحياة عن المتنبي، ويتلقوا دروسهم الفطرية البدوية عنه لتقوية أرادتهم والعزم على التغيير نحو الأحسن والتّقدم نحو الرّقي والازدهار في الحياة ليستطيعوا الخوض في كل ميادينها.

ويقول في خطبته في "نادي القلم ببغداد": **«.. أنني أحد هذه العصبة التي تتخذ من القلم أداة جهاد في زمن لغة نبيه أبعد ما تكون عن القلم، والحكم فيهم السيف لا القلم، فكأنهم من تلامذة المتنبي حين يقول:**

حتى رجعتُ وأقلامي قوائل لي * المجدُ للسيف ليس المجد للقلم

أكتب بنا أبدًا بعد الكتـــاب بـــه * فإنّما نحن للأسيـــاف كالخـــدمِ»[3].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 469.

2- نفسه، ج2، ص 469.

3- نفسه، ج4، ص 206.

استشهد الإبراهيمي بهذين البيتين ليقنع المتلقي بأنّ القلم أداة جهاد، فهو يصف رجال نادي القلم اللذين يتخذون من السيف أداة جهاد لذلك وظّف قول المتنبي ليذكر بعصر المتنبي (عصر السيف والحكم)، وهو بذلك يقنع متلقيه بأنّ الأداة الناجحة نحو الرقي والتّقدم هو القلم لا السيف.

ومن قوله أيضًا: «**القوة اليوم بالأقلام، وبالجواري المنشآت في البحر كالأعلام، فإذا فاتتكم القوة الثانية فلا تفوتكم القوة الأولى، لقد سمعنا شوقي يُخاطب الترك يقول:**

نحنو عليكم ولا ننسى لنا وطنًا * ولا سريرًا ولا تاجًا ولا علمًا

هذي كرائمُ أشياء الشعوب فإنْ * ماتتْ فكل وجودٍ يشبهُ العدما»[1].

أراد الإبراهيمي من خلال البيتين من قول شوقي إقناع المتلقي، بأنّ كرائم الشعوب هي القلم المحرّر، واللّسان المعبّر والعقل المدبّر فإنْ ضاعت هذه فالوجود هو العدم، لذلك وجب الحفاظ على هذه الكرام لأنها تحقق النجاح في كل الميادين فالإبراهيمي دائما يوصي بقوة الأقلام لأنها تحقق النجاح.

ويقول أيضًا عن القلم: «**... إنّ أقلامنا اليوم كالسيوف التي قال فيها الأول:**

فهذي سيوف يا عدي بن مالك * كثير ولكن أين بالسيف ضارب»[2].

استشهد "الإبراهيمي" بهذا البيت ليؤكد ويقنع المتلقي بوجود العديد من الكتاب والأدباء ولكن القليل منهم فقط من يصيب الهدف.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص 208.

2- نفسه، ج4، ص 207.

2-1-6-2- المثل:

ونقصد به التمثيل للموضوع المتحدث عنه من قبيل الخطيب، «والمثل حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويرد استنتاج نهاية أحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها»[1].

والمثل يعد دعامة كبرى من دعائم الخطابة لما يحققه من إقناع وتأثير، فقد يجعل المتلقي ينتقل من شيء مجهول إلى شيء معلوم وتتضح الرؤية والصورة من خلاله.

يقول "الإبراهيمي": **«... وفرع ريّان من شجرة العروبة، وزهرة فواحة من رياض الشرق (تصفيق حاد)، تغرّبت هذه الزهرة كما تغربت قبله نخلة عبد الرحمن الدّاخل»**[2].

"فالإبراهيمي" في هذا المثال شبّه تَغرّب شعب الجزائر جرّاء الاستعمار مثل تغرب عبد الرحمن الدّاخل في الماضي، فهذا المثل أراد به الإبراهيمي تقريب المعنى وتوضيحه للمتلقي أو القارئ.

وقوله أيضًا: «**فنعرف من هو أبو بكر ومن هو عمر؟ ونعرف ما صنع عقبة وحسّان وطارق وموسى وطريف في الغرب، وما صنع المثنى وسعد وخالد وعقبة في الشرق**»[3].

في هذا المثال أراد" الإبراهيمي" أنْ يُوضِّح للمستعمر بأنّ الشعب الجزائري له تاريخ صنعه الأبطال منذ القدم إلى يومنا هذا، وهو مثال تاريخي.

1- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 85.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 465.

3- نفسه، ج2، ص 468.

2-1-7- التوكيد:

يعدّ التّوكيد من الأساليب البلاغية التي يلجأ إليها الخطيب من أجل تقوية حججه، لأنّه وسيلة لتثبيت المعنى في النفوس، وإقراره في أفئدة قارئيه «إنّ التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك، وإماطة الشبهات لما أنت بصدده، وهو دقيق المآخذ كثير الفوائد»[1].

ويستعمل التوكيد بترتيب درجاته لغويًا، وذلك عند إنتاج الخطاب الخبري، وقد قسّمه السكاكي إلى[2]: الخبر الابتدائي، الخبر الطلبي، الخبر الإنكاري.

إذا كان المرسل خالي الذهن من أي حكم سابق فيستعمل المرسل الخبر الابتدائي خاليًا من أي مؤكدات، بينما الخبر الطلبي فيكون مؤكدًا بأداة واحدة عندما يلقى الخطاب إلى مرسل إليه ويكون مترددًا، بينما يؤكد الخبر الإنكاري بأكثر من مؤكدات في حالة تصور المرسل أنّ المرسل إليه شاكًا ومُنكرًا له.

المرسل يلجأ إلى أسلوب التوكيد إذا شك أنّ المرسل إليه بحاجة إلى ذلك فيقوم بتأكيد الكلام يُؤكد واحد أو أكثر من ذلك، ومثال ذلك قول "البشير الإبراهيمي": «**إنّ رحمة الأرض آتية من السماء، وقد جاءت أديان السماء فعلمت الفقير كيف يرضى ويصبر**»[3].

1- يحي بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج2، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة المصرية، بيروت، ط1، 2002م، ص 94.

2- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 170.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، 364.

إذن هذا القول جاء مؤكدًا بأكثر من أداة وهي (إن، قد)، وهو عبارة عن حجج لإقناع المتلقي بأنّ السماء هي منبع الرّحمة، وهي منبع الإسلام التي تجعل الإنسان يرضى بقدره، فجاء هذا القول على شكل نتيجة لحجتين على الشكل التالي:

النتيجة: منبع الرّحمة والأديان من السماء.

الحجة الأولى: إنّ رحمة الأرض آتية من السماء.

الحجة الثانية: وقد جاءت أديان السماء فعَلّمت الفقير كيف يرضى ويصبر.

إذن هذه الحجج جاءت لتؤكد المعنى وتُوضِّحه للمتلقي لذلك استعمل" الإبراهيمي " أكثر من أداة تأكيد.

ويقول أيضًا: «**إنّ عهد الله في أعناق علماء الدين لعهد ثقيل، وإنّ أمانة الإسلام في نفوس علمائه لعظيمة، وإنهم لمسئولون عليها يوم تنشر الصحائف في هذه الدّار وتلك الدّار**»[1].

جاء هذا القول مؤكدًا بأكثر من أداة (إنّ، اللام)، وذلك ليُبيِّن الإبراهيمي عظمة مسؤولية العلماء أمام عهد الله في حمل أمانة الإسلام وإحياء حقائقه لأنّ هذا الأمر يتعلق بالله عزّ وجلّ، لذلك لا يمكن التلاعب فيه، لأنّه أمر عظيم، فهذا التوكيد يحمل حججًا لتُقنع المتلقي بالنتيجة وهي خطورة حمل أمانة الإسلام في الدنيا والآخرة.

وجاءت هذه الحجج كالتالي:

الحجة الأولى: إنّ عهد الله في أعناق علماء الدّين لعهد ثقيل.

الحجة الثانية: وإنّ أمانة الإسلام في نفوس علمائه لعظيمة.

الحجة الثالثة: إنهم لمسؤولون عليها يوم تنشر الصحائف في هذه الدّار وتلك الدّار.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 472.

ومثاله أيضًا قوله: «**إنّ مواطن العروبة متفرقة متباعدة، وإنّ الرّابط الطبيعي بينها هو هذه اللّغة، وقد ألم بها من أحداث الدّهر ما أضعف تلك الرّابطة حتى رثت حبالها**»[1].

جاء هذا القول في هذا المثال مؤكدًا بأداتين لتثبيت المعنى وهما (إنّ، قد)، وهي عبارة عن حجج أكّد بها "البشير الإبراهيمي" خطابه بأنّ اللّغة العربية هي التي تُقرِّب العرب وإنّ كثيرًا منهم ينكر ذلك، وجاءت هذه الحجج متبوعة بنتيجة كالتالي:

النتيجة: أهمية اللّغة العربية.

الحجة الأولى: إنّ مواطن العروبة متفرقة متباعدة.

الحجة الثانية: وإنّ الرّابط الطبيعي بينهما هو هذه اللّغة.

الحجة الثالثة: وقد ألم بها من أحداث الدّهر ما أضعف تلك الرّابطة حتى رثت حبالها.

ويقول أيضًا: «وإنّ تغيير الممالك لصعب، وإنّ فطام الملوك عن لذة الملك لأصعب منه؟»[2].

هذا القول جاء مؤكدًا بأداة ليثبت المعنى وهي (إنّ)، وقد ذُكرت الأداة مرتين ليؤكد "الإبراهيمي" خطابه بأنّ فطام الملوك عن العرش وتغيير الممالك صعب جدًا، وجاءت هذه الحجج كالتالي:

الحجة الأولى: إنّ تغيير الممالك لصعب.

الحجة الثانية: وإنّ فطام الملوك عن لذة الملك لأصعب منه.

أراد "الإبراهيمي "من خلال عرض حججه تأكيد المعنى وتثبيته في نفس المتلقي.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 293.

2- نفسه، ج2، ص 471.

2-1-8- التعريض:

يُعرِّفه أبو هلال العسكري: «هو اعتراض كلام في كلام لم يتم... ثم يرجع إليه قيمته»[1].

تُعبر الجملة الاعتراضية عن مقاصد المتكلم الموجهة للمتلقي، فهي تعدّ من الوسائل التي يُعبّر بها المتكلم عن مقاصده في سياق معين من أجل التّأثير في المتلقي.

وتتمثل الوظائف التداولية للجملة الاعتراضية في:

2-1-8-1- وظائف المكونات الدّاخلية:

وهي وظيفة البؤرة ووظيفة المحور وسنقتصر في هذا الفصل على وظيفة المحور فقط.

- **المحور**: هي العبارة الحاملة للمعلومة الكافية لتمكين المخاطب من التّعرف على ما تحيل إليه.

وتستند وظيفة المحور طبقًا لهذا المبدأ العام إلى أحد الموضوعات البنية الحملية الحامة لوظيفة دلالية (منفذ، متقبل، مستقبل, مستفيد، زمان، مكان)، والمسندة إليه أحيانًا إحدى الوظيفتين التركيبيتين (الفاعل والمفعول) [2].

أمّا بالنسبة للجمل التي تحتل وظيفة المحور نذكر ما يلي: «**ففسد الذوق واختل التصور - بأفكار غطى عليها الجمود وسد عليه منافذ التفكير – وبنفوس ركبها الملل والسأم**»[3].

1- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، ص 441.

2- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللّغة العربية، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1405هـ/1985م، ص 71.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 362.

فالأفكار التي غطى عليها الجمود وسدّ عليها منافذ التفكير تقع داخل المحور، فهذه الجملة فيها إيضاح على ما حدث للذوق والأفكار ولفت الانتباه لهذا الأمر جعل من الاعتراض محورًا.

2-1-8-2- وظائف خارجية:

وتتمثل في وظيفة المنادى والمبتدأ، إذْ يعتبر المبتدأ احد الوظائف التداولية الواردة في اللّغة العربية «وهو الذي يحمل وظيفة تداولية خارجية متميزة عن الوظائف التركيبية، لأنّ دور المكون هو (تحديد مجال الخطاب) فمن مقومات نجاح عملية التواصل لأن يتفق المتكلم والمخاطب على مجال التخاطب، وأن يتعرف المخاطب على ما سيتحدث عنه قبل أنْ يُحادث، لذا فهو ليس من موضوعات المحمول ولاحقًا من لواحقه فيكون بذلك تركيب الجملة تداوليًا كما يلي: مبتدأ + محمول + حدود (موضوعات ولواحق)، كما أنّه لا يأخذ وظائف تركيبية ودلالية، كما تأخذها المكونات الدّاخلية من محور وبؤرة»[1].

ومثال ذلك نذكر ما يلي:

وفي قول "الإبراهيمي": «**والآثار الموضوعة والنظريات، والطلبة –وهم صرعى هذه الفتن- يتلقونه بألسنة جافت البيان العربي وصرفتها العجمة في منهاج غير منهاج العرب**»[2].

نجد في هذا القول تحيل على الطلبة ليتدخل بذلك المكون وظيفة خارجية للجملة الاعتراضية وهي وظيفة المبتدأ، فهي ليست موضوعًا من موضوعات المحمول في تحليل إلى مجال الخطاب.

1- كاهنة دحمون، الجملة الاعتراضية بنيتها ودلالتها في الخطاب الأدبي، دراسة في ضوء النظرية التداولية، دار الأمل، مخبر تحليل الخطاب، الجزائر، (دط)، 2012م، ص 92.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 362.

ويقول "الإبراهيمي" في خطبته أمام الوفود العربية والإسلامية في الأمم المتحدة: **«أحق أنّ باريس –وهي منبع شقائنا- وهي الصفحة العابسة في وجوهنا»**[1].

في هذا القول فهي تحيل هنا على فرنسا، فهذه الجملة تحيل إلى مجال الخطاب، ويحتل المكون وظيفة خارجية وهي وظيفة المبتدأ.

إذن للجملة الاعتراضية دور أساسي من خلال لفت انتباه المتلقي ليقتنع بعد ذلك بوجهة نظره.

وفي الأخير بعد أنْ قمنا بتحليل بعض النماذج البلاغية، نستنتج أنها لا تعتمد فقط على طابعها الجمالي، وهذا ما يظنه الكثيرون، بل لها وظيفة حجاجية إقناعية لها تأثير قوي في المتلقي، لأنّ اللّبس والمجاز في الكلام من أقوى المظاهر الحجاجية.

والنماذج التي حللناها اختلفت وتباينت من نموذج إلى آخر، وذلك حسب الآلية البلاغية المستخدمة.

2-2- الآليات اللّغوية:

يعتقد "أوزفالد ديكرو" (O. Ducrot) أننا نتّكلمّ عامّة بقصد التأثير[2]، وهذا التّأثير والحمل على الإذعان والإقناع بما يعرض علينا من أفكار ومعتقدات، إنما يحصل «بالوسائل اللّغوية وبإمكانات اللّغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم»[3]، كون اللّغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية.

وتعدّ الآليات اللّغوية في كلّ خطاب، وفي خطاب" الإبراهيمي"، من الوسائل الأفضل لتحقيق التصديق والإقناع والتّأثير في المتلقي.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 466.

2- أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج، ص 56.

3- نفسه، ص 56.

ويمكننا أنْ نُميِّز بين عدد من الآليات اللّغوية التي يمكن أنْ تُسهم بشكل فعّال في عملية الإقناع والتّأثير، نذكر ما يلي:

2-2-1- الوصف:

يعدُّ الوصف من الآليات اللّغوية الفعّالة في وضع الحجج الواردة في الخطاب الحجاجي في درجة سّلمية معينّة، فاختلاف الوصف يُؤدّي إلى الاختلاف في قوّة أو ضعف الحجة المستعملة في أي خطاب كان، ومن أدوات الوصف نذكر: اسم الفاعل، اسم المفعول وأفعال التفضيل والصفة.

2-2-1-1- اسم الفاعل:

يُعرِّف اسم الفاعل بأنّه: «اسم مشتق، يدلّ على معنى مجرّد، حادث، وعلى فاعله»[1].

فهو نموذج من نماذج الوصف لا يدرجه المتكلم (الفاعل) في خطابه من أجل الوصف في حدّ ذاته، وإنما من أجل إدراج الحجج القوية[2]، التي تسوُّغ له إصدار حكمه من أجل النتيجة التي يُريد تحقيقها.

أمّا الشواهد الواردة في خطب "الإبراهيمي" فهي عديدة، سنكتفي بذكر مثالين:

«إني مغتبط لإحيائكم لذكرى شوقي شاعر العرب في وقت هم فيه أحوج ما يكونون إلى صيحاته التي تحرك الخامل وتهزّ الجامد»[3].

ومحل الشاهد في القول: الخامل، الجامد.

1- ينظر: عباس حسن، النّحو الوافي، ج3، ص ص 238، 239.

2- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 489.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 226.

الخامل، الجامد على وزن فاّعل، استعمل" الإبراهيمي "هذه الصيغ ليقنع متلقيه بأنّ شوقي يحي الميت ويُحرك الخامل ويهزّ الجامد.

ويقول أيضًا: «**... كأنّ التهذيب الأخلاقي في فرنسا سَائر إلى الوراء**»[1].

ومحل الشاهر في هذا المثال "سائر"، وهي اسم فاعل جاء على وزن فاعل، ففرنسا لا تعرف معنى الأخلاق والفضيلة، و"الإبراهيمي" يكشف الغطاء للمتلقي.

2-2-1-2- اسم المفعول:

يُعرِّف اسم المفعول بأنّه: «اسم مشتق يدلّ على معنى مجرّد، غير دائم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى، فلابدّ أنْ يدلّ على الأمرين معًا»[2]، ويصنّف في نماذج الوصف التي يستعملها المتكلم في خطابه لتوجيه المتلقي نحو الاستجابة لمراده من خلال هذا الوصف، فيستعمل وصف اسم المفعول من أجل بناء حججه.

ومثال ذلك يقول "الإبراهيمي": «**إنّ ثورة أربع سنوات لا ندري ماذا خبأ لها قدر <u>محجوب</u>**»[3].

ومحل الشاهد في هذا القول هو مفردة "محجوب" فهي اسم مفعول على وزن مفعول، جاء القول على شكل حجة، "فالإبراهيمي" هنا بصدد إقناع المتلقي بأنّ الثورة الجزائرية لا ندري ماذا خبأ لها القدر، من شعب لا يملك شيئًا من القوة وسلاح العصر.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 233.

2- عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 271.

3-الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 231.

ويقول أيضًا: **«... وأما والله لو أنّ تاريخ فرنسا كُتب بأقلام من نور بمداد من عصارة الشمس في لوح منحوت من صفحة القمر، ثم قرظه عشاقها المتيمون منا باللؤلؤ المنثور بدل القرض المشعور، والشعر المنثور»**[1].

محل الشاهد في هذا المثال: منحوت، مشعور ومنثور، جاءت هذه الصفات على وزن مفعول.

"فالإبراهيمي" أراد من خلال هذا القول أنْ يُؤكد للمتلقي أنّ فرنسا مهما كُتب تاريخها بأقلام من نور في لوح منحوت لا يمكن أنْ ننسى أفعالها الشنيعة، فهي لا تعرف الإنسانية، كيف لنا أنْ ننسى "مذابح سطيف وقالمة وخراطة".

2-2-1-3- أفعال التفضيل:

تستعمل للإثبات، ويكمن دورها حجاجيًا في أنها تمَّكن المتلقي من ترتيب أشياء معينة ترتيبًا معينًا صحيحًا.

ومثال ذلك قول "الإبراهيمي": **«... وإنّ الرّابط الطبيعي بينها هو هذه اللّغة، وقد ألم بها من أحداث الدّهر ما أضعف تلك الرّابطة حتى رثت حبالها»**[2].

ويكمن دور فعل التفضيل في هذا المثال في "ما أضعف"، وظّفه "الإبراهيمي" لغرض معيّن وهو التحقير ليقنع المتلقي أنّ الأمّة التي لا تستعمل اللّغة العربية ترث حبالها وتسقط أحكامها.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 238 .

2- نفسه، ج5، ص 293.

ويقول أيضًا: «**وتحية الإسلام الذي هو أصفى ما تشظت صدفة الوحي من لآلئ، وتحية الشرق الذي اعتقد مخلصًا أنكم أزكى نباته، وأنهكم الصفوة المختارة من بُناته**»[1].

نجد "الإبراهيمي" في هذا المثال وظّف أفعال التفضيل وهي (أصفى، أزكى)، للافتخار فهو يفتخر بتحية الإسلام حينما قال: "أصفى ما تشظت صدفة الوحي من لآلئ"، ويفتخر أيضًا بالشرق الذي يعتقد بأنهم أزكى نباته.

إذن غرض "الإبراهيمي "من توظيف أفعال التفضيل لكي يصل بالفكرة إلى المتلقي ويقنعه بها.

2-2-1-4- الصفة المشبّهة بالفعل:

وهي اسم يُشتق من الفعل الثلاثي للدّلالة على صفة.

و أمثلة ذلك كثيرة في خطب "الإبراهيمي"، نذكر ما يلي: «**وإنْ أنا قمت بما يوجه الوفاء ليوم القرآن قصَّرت في حق أخ اعتقد أنّ ما قاله الشعراء والخطباء في حقّه قليل**»[2].

محلّ الشاهد في هذا المثال: "قليل" أراد "الإبراهيمي" من خلاله توظيف الصفة المشبهة أن يوصِّل حجته للمتلقي وهي: أننا مهما مدحنا الشيخ ابن باديس لا نستطيع أنْ نوفيه حقه.

ويقول أيضًا: «**... فأنا حين أُخاطب إخواني الكرام الذين أتاح لي الحظ السعيد... لا يحلو لي إلاّ أنْ أُخاطبهم بهذا الوصف الجليل**»[3].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 465.

2- نفسه، ج1، ص 366.

3- نفسه، ج2، ص 465.

محلّ الشاهد في هذا المثال : "السعيد، الجليل" هي أوصافًا استخدمها "الإبراهيمي" في سبيل إقناع جمهوره أو تأكيد أمر.

2-2-2- أفعال الكلام:

وتشكل الأفعال الكلامية أحد المفاهيم الأساسية في اللسانيات التداولية والنواة الأساسية في الكثير من أعمالها، والمقصود بها: «الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللّغة فعلاً بعينه»[1]، أو هي «كل ملفوظ ينهض على نظام تشكيلي دلالي تأثيري غايته تغيير حال المخاطبين»[2].

مبنى هذه النظرية أنها لا تنقل مضامين مجردة، وإنما تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات المتنوعة[3].

ونجد "أوستين" في بداياته قد ميّز بين نوعين من الأفعال: أفعال إخبارية أو تقريرية "Constatif / Constative" وهي الأفعال التي تخبر أو تصف الواقع الخارجي (يحكم عليها بالصدق أو الكذب) وأفعال أدائية أو إنشائية "Performati / Performatif" تستخدم لإنجاز فعل وليس لها خصيصة الحكم عليها بالصدق أو الكذب[4]، وعليه فكل العبارات الملفوظة إنجازية على نوعين:

1- دومينيك مانغو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد حياتن، الدار العربية للعلوم، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م، ص 07.

2- مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دار الطبيعة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005م، ص 30.

3- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 260.

4- ينظر: العيد جلولي، نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل، مجلة الأثر، العدد الخاص أشغال المتلقى الدّولي الرّابع في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، (د ت)، ص58.

- إنجازية (صريحة / مباشرة) فعلها ظاهر (أمر، حض، دعاء، نهي) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم.

- إنجازية (ضمنية / غير مباشرة) فعلها غير ظاهر، نحو الاجتهاد مفيد = (أقول) الاجتهاد مفيد = آمرك أن تجتهد[1].

وبعد ذلك تطرق مع تلميذه "سيرل" لمستويات الفعل الكلامي وميّزه إلى ثلاثة عناصر[2]:

الفعل الكلامي: وهو التلفظ بصيغة ذات صوت محدد و تركيب مخصوص و دلالة معينة.

الفعل التّكلمي: وهو الفعل التواصلي الذي تأديه الصيغة التعبيرية في سياق معين.

الفعل التّكليمي: أثر الفعل التكلمي في المستمع .

إذن أفعال الكلام تكمن قوتها في الأثر الناتج من القول والدّور الذي تُؤديه في الإقناع سواء أكانت أفعالاً خبرية أم إنشائية.

2-2-2-1- الأفعال الخبرية:

إنّ للأفعال الخبرية دور هام في العملية الحجاجية.

نجد ذلك في قول "الإبراهيمي": «**أمّا وقد بلغوا من تقسيمنا ما يريدون، وأصبحنا في درجة من الضعف المادي والضعف العقلي نعتقد فيها أنّ الله خلقنا خلقة الأرنب، وخلقهم خلقة الأسد**»[3].

1- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط2، 2012م، ص78.

2- ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 260.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 471.

نجد في هذا أفعالاً كلامية ذات قيمة حجاجية، فهي تُخبر عن الحالة التي أصبح فيها الشعب الجزائري من جرّاء التقسيم، لهدف التواصل والتأثير والإقناع.

ويقول أيضًا: «**ثم نتقدم بالثناء العاطر على إخواننا السّابقين الأوّلين من أعضاء المجمع على ما أنفقوا في سبيله من وقت وجهد، وأفاضوا عليه من معنويات راسخة، ونفضوا عليه من ألوان ثابتة جميلة**»[1].

ففي هذا المثال قام "الإبراهيمي" بإنجاز أفعالاً كلامية مباشرة، فهو يعرض جملة من الأعمال التي قام بها أعضاء المجمع السّابقين الأوّلين، فكل من هذه الأفعال جاءت على شكل جمل خبرية، فهي بمثابة حجج تُؤدي وظائف تواصلية.

2-2-2-2- الأفعال الإنشائيّة:

للأفعال الإنشائيّة دور هام في العملية الحجاجية، فهي تُؤدي إلى استمالة العقول وإثارة العواطف، فعند البلاغيين العرب «فتضم كلّ الأفعال الكلامية الدّالة على الطلب بغض النظر على صيغتها»[2].

ويقول "السكاكي": «إنّ الطلب يستدعي مطلوبًا لا محالة، ويستدعي فيما هو مطلوبه أنْ لا يكون حاصلاً وقت الطلب»[3]، ومن هذه الأساليب الإنشائية، نذكر ما يلي:

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 295.

2- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (دط)، (دب)، 2002م، ص 100.

3- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 302.

2-2-2-2-1- الاستفهام:

هو من الأفعال الإنجازية و«هو طلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج، فتنقش في الاستفهام تابعًا وفي باقي الطلبيات متبوعًا»[1].

ويتمثل الاستفهام في قول "الإبراهيمي"، نذكر ما يلي: «**وقد توزعتني الخواطر حين قمت: أأسلك ما سلكه الخطباء والشعراء من تمجيد أخينا بما هو أهله؟**»[2].

الاستفهام هنا جاء خارجًا عن غرضه الأصلي إلى غرض آخر وهو الإنكار، "فالإبراهيمي" يُنكر الطريقة التي كانت تمجد عبد الحميد ابن باديس.

ويقول أيضًا: «**... فلماذا لا يرجع بنو الأرض إلى حكم السماء ورحمته؟ ولماذا لا يلتمسون مثل الإحسان الكاملة في القرآن؟**»[3].

أنجز "الإبراهيمي " فعلا كلاميا إنشائيا متمثلا في الاستفهام و الذي خرج إلى معنى أخر ضمني و هو التمني , "فالإبراهيمي " يتمنى أن يرجع بنو الأرض إلى التمسك بالقرآن .

2-2-2-2-2- التّمني:

وهو طلب كون غير الواقع فيما مضى واقعًا فيه مع حكم العقل بامتناعه[4].

ونجد ذلك في قول "الإبراهيمي": «**وإنّ هذه لهي المصيبة الكبرى التي لا نبعد إذا سميناها مسخًا وليتها كانت مسخًا للإراد، ولكنها مسخ للأمم ومسخ لمقوماتها**»[5].

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 304.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 365.

3- نفسه، ج1، ص 364.

4- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 303.

5- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 470.

في هذا القول أنجز "الإبراهيمي" فعلاً كلاميًا إنشائيًا والمتثل في التمني، واستخدم كلمة **"ليت"** فيتمنى أنْ يكون هذا المسخ للأفراد فقط.

ويقول أيضًا: «**فعسى أن يتحقق هذا التفاؤل، فتكون هذه الليلة أوّل خيط في نسيج الوحدة الإفريقية التي هي آخر أمل للمتفائلين مثلي**»[1].

أنجز "الإبراهيمي" فعلاً كلاميًا إنشائيًا وهو التمني لكن ليس على صيغته الأصلية فخرج إلى معنى آخر متضمن فيه وهو الترجي، فالإبراهيمي يتمنى أن يتحقق حلمه وهو الوحدة الإفريقية.

2-2-2-2-3- الأمر:

الأمر في «لغة العرب عبارة عن استعمالها أعني استعمال نحو, لينزل- أنزل- ونزال وصه، على سبيل الاستعلاء، فالأظهر أنها موضوعة لذلك، وهي حقيقة فيه، ليتبادر الفهم عند الاستماع نحو: قم، وليقم زيد إلى جانب الأمر وتوقف ما سواه من الدّعاء، والالتماس، والندب والإباحة والتهديد على اعتبار القرائن»[2].

ويّعدّ الأمر من الأفعال الإنجازية الإنشائية وهدفه توجيه المتلقي نحو سلوك معيّن، ومن أمثلة ذلك في خطب "الإبراهيمي"، نذكر ما يلي:

«**أحيوا قرآنكم تحيوا به، حققوه يتحقق وجودكم به، أفيضوا من أسراره على سرائركم ومن آدابه على نفوسكم ومن حكمه على عقولكم تكون به أطباء و يكن بكم دواء**»[3].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 467.

2- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 318.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج1، ص 365.

في هذا المثال أنجز" الإبراهيمي" فعلاً كلاميًا إنشائيًا في صيغة الأمر، وذلك من أجل نصح وإرشاد الشعب الجزائري، حيث جاءت هذه الأفعال على شكل حجج من أجل إقناع المتلقي نحو فعل معيّن وهو العمل بالقرآن لما فيه دواء للنفوس والعقول.

2-2-2-2-4- النداء:

وهو «طلب إقبال المخاطب»[1]، ومن أمثلة ذلك في خُطب "الإبراهيمي" كثيرة، نذكر ما يلي: «**أيها الإخوان ! ليس من سداد الرأي أنْ يضيع الضعيف وقته في لوم الأقوياء، وليس من المجدي أنْ يدخل معه في جدل... إنّ هذه الأمثال التي يعقلها الطغاة، وإنَ هذه التوبة التي يجب أنْ يحملوها عليها حملاً ويلجأوا إليها إلجاء**»[2].

أنجز "الإبراهيمي" فعلاً كلاميًا إنشائيًا في هذا المثال وهو النّداء ليُخبر المتلقي ويحثّه على ترك اللّوم، لأنّ المستعمر لا ينفع معه ذلك وإنما يجب علينا أنْ نحتقر قوته.

إذن أفعال الكلام في خُطب "الإبراهيمي" سواء كانت خبرية أم إنشائية يتمثل دورها في إقناع المتلقي.

2-2-3- الروابط الحجاجية:

تشمل اللّغة العربية ,كغيرها من اللّغات ,على عدد كبير من الرّوابط الحجاجية، إذ تُعرّف بأنها: «عبارة عن أدوات لغوية يكون دورها هو الرّبط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر)، وتستند لكل قول داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة»[3].

1- فضل عباس حسن، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان، الأردن، ط4، 1417هـ/1997م، ص 162.

2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 469.

3- أبو بكر العزّواي، اللّغة والحجاج، ص 27.

إذن يختلف دور الرّوابط الحجاجية عن دورها التقليدي المتمثل في مجرد الإخبار وإنما تكون لها قيمة حجاجية، إذ تضطلع بدورين: الرّبط بين قضيتين (ملفوظين): الترتيب بينهما حسب قوة أو ضعف الحجج المعروضة في الخطاب، ومن هذه الرّوابط في اللّغة العربية: غنّى عن القول، لكن، بل، حتى، لاسيما، إذن، بما أنّ، إذ، إذا، الواو، الفاء، اللاّم، كي... [1]

هناك نوعان من الرّوابط، روابط تدرج للحجج وهي: (لكن، بل، حتى، ذلك، مع، إذا، الواو، الفاء...) وروابط تدرج للنتائج وهي: (إذن، لهذا، وبالتالي...).

من خلال الخُطب سنحاول رصد بعض الرّوابط الحجاجية:

الرّابط الحجاجي "بل":

يستخدم هذا الرّابط لغرضين؛ للحجاج والإبطال فهو من روابط التعارض الحجاجي[2].

وأمثلة ذلك في خُطب "الإبراهيمي" كثيرة، نذكر منها: «**ومات معناه الزمني المحدود ولكن معناه التّاريخي النفسي لم يمت، بل باقٍ ما بقي الإسلام**»[3].

الرّابط الحجاجي "بل" يستعمل للتعارض ويربط بين الحجج، والحجة التي تأتي بعد هذا الرّابط تكون أقوى لأنها مؤدية للنتيجة وهي أن غزوة بدر لم تمت بل هي باقية في الإسلام.

1- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 508.

2- أبو بكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، ص 30.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 361.

ويقول أيضًا: «**التفاف منكم حول قضية من قضاياكم، بل هي أصل قضاياكم مع الاستعمار، بل هي أعقد قضاياكم معه**»[1].

الرّابط الحجاجي "بل" يقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين: الحجة الأولى "**التفاف منكم حول قضية من قضاياكم**"، والتي تتخذ نتيجة وهي اهتمام المجاهدين بقضية من قضاياهم. أمّا الحجة الثانية وهي التي ترد بعد الرّابط الحجاجي "**بل" ألا وهي "... أصل قضاياكم مع الاستعمار وهي أعقد قضاياكم**".

النتيجة جاءت ضمنية وهي الدّعوة إلى الاهتمام بلب قضية الاستعمار.

إذن من خلال تحليلنا لهذا الرّابط نستخلص أنّ "**بل**" تربط بين حجتين متعارضتين والحجة الواردة قبل الرابط تحمل نتيجة ضمنية والحجة الواردة بعد الرّابط تحمل نتيجة ضمنية معارضة للنتيجة الأولى.

الرّابط الحجاجي "حتى":

يقول كلّ من "ديكرو" و"أنسكوبير" في شأن الرّابط الحجاجي: «إنّ الحجج المربوطة بواسطة هذا الرّابط ينبغي أنْ تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنها تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي ترد بعد هذا الرّابط تكون هي الأقوى، لذلك فإنّ القول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي»[2].

ومثال ذلك قول "الإبراهيمي": «**والتي تفاقم خطبها واضطرم لهيبها حتى أصبح بنو آدم المتآخون في نسبه فرقين مضطغنين يتربص كل فريق بأخيه دائرة السوء**»[3].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 231.

2- أبو بكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، ص 73.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 364.

فالرابط الحجاجي هنا ربطت مجموعة من الحجج:

ح1: تفاقم خطبها واضطرم لهيبها.

ح2: أصبح بنو آدم المتآخون في نسبه فرقين مضطغنين. } حجج

ح3: يتربص كل فريق بأخيه دائرة السوء.

فكل هذه الحجج سواء الواردة قبل "**حتى**" أو الواردة بعدها تخدم نتيجة واحدة، وهي تفاقم مشكلة الطبقية، "فالإبراهيمي" يعلل هذه الظاهرة.

ويقول أيضًا: «**أحقيقة ما ترى عيناي أم خيال؟ إخوة طوّحت بهم الأقدار، وفرقتهم صروف الدّهر في الأقطار، حتى ما يلتقي رائح منهم بمبتكر**»[1].

فالرابط الحجاجي هنا ربطت بين حجتين:

ح1: إخوة طوّحت بهم اقْدار.

ح2: فرقتهم صروف الدّهر في الأقطار. } حجج

ح3: ما يلتقي رائح منهم بمبتكر.

كل هذه الحجج سواء الواردة قبل "**حتى**" او الواردة بعدها تخدم نتيجة واحدة، وهي تفرق الإخوة بسبب الظروف.

الرّابط الحجاجي "الفاء":

الفاء من الرّوابط الحجاجية التي تكثر في خطب "الإبراهيمي"، سنتناول بعضًا من الأمثلة: «**هذا هو اليوم الذي التفت فيه الأمة حول دينها ولغتها فأثبتت أنها أمّة مسلمة عربية يأبى لها دينها أن تلين فيه للعاجم**»[2].

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 466.

2- نفسه، ج1، ص 361.

محلّ الشاهد في المثال الرّابط الحجاجي "**الفاء**"، تربط الفاء بين متغيرين حجاجين، وجاء مدعمًا للنتيجة:

ح1: هذا هو اليوم الذي التفت فه الأمّة حول دينها ولغتها. } حجج

ح2: أنها أمّة مسلمة عربية يأبى لها دينها أن تلين فيه للعاجم.

نتيجة: الأمّة المسلمة ترفض أنْ تستلم للعاجم.

ويقول أيضًا: «**إنّ الأمّة الإسلامية التي يقرأ الناس أخبارها في التّاريخ فيقرؤون المدهش المعجب ويرى الناس آثارها في العالم والتشريع والأدب والحكمة**»[1].

في هذا المثال ساق "الإبراهيمي" حجّتين: الحجّة الأولى إنّ الأمة الإسلامية التي يقرأ الناس أخبارها في التاريخ ، والحجّة الثانية وهي أقوى من الأولى ومدعّمة لها ومتساوقة معها ومساندة لها، وهي يقرؤون المدهش المعجب ويرى الناس آثارها في العالم والتشريع والأدب والحكمة، إذن فالرّابط "**الفاء**" تفسر مضمون الحجج.

الرّابط الحجاجي "إذن":

تتمثل وظيفة الرّابط الحجاجي "**إذّن**" في سوق النتيجة أو إدراجها[2].

ومثال ذلك قول "الإبراهيمي": «**ولنعلم أنّه إنْ أصابها سوء ونحن عصبة إنا إذن لخاسرون**»[3].

يتكون هذا المثال من حجّة ونتيجة هذه الحجّة: ولنعلم أنّه إن أصابها سوء ونحن عصبة، ليصل إلى النتيجة: لخاسرون، موظِّفًا الرّابط الحجاجي "**إذّن**" لأنّه من الرّوابط المُدرجة للحجّة كما سبق الحديث.

1- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي, ج1، ص 362.

2- أبو بكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، ص 30.

3- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 294.

الرّابط الحجاجي "الواو":

يستعمل "الواو" «حجاجيًا وذلك بترتيب للحجج ووصل بعضها ببعض، بل وتقوي كل حجة منها الأخرى، وتعمل على الرّبط النسقي أفقيًا على عكس السلم الحجاجي»[1]، والأمثلة كثيرة في خُطب "الإبراهيمي"، نذكر ما يلي: «**وينفوا عنها تحريف الغالين، وزيغ المبطلين، وانتحال المؤولين، وأنتم أولئك العدول، فأنفوا بجد وإخلاص عن هذه اللّغة زيغ المبطلين**»[2].

فالحجّج في المثال جاءت متسقة وغير منفصلة وكذلك كل حجّة تقوم بتقوية الحجّة الأخرى، وذلك بفضل الرّابط الحجّاجي "**الواو**".

ح1: وينفوا عنها تحريف الغالين.
ح2: و زيغ المبطلين.
ح3: انتحال المؤولين.
ح4: وأنتم أولئك العدول.
} حجج

فالرّابط الحجاجي هنا قام بوصل الحجج وترتيبها لتقوية النتيجة هي دعوة للشباب أن ينهضوا ويعملوا بجد ليبعدوا المبطلين عن اللّغة العربية.

ويقول أيضًا: «**حياكم الله وبياكم، وأدامكم وأحياكم وأبقاكم للعروبة تصونون عرضها**»[3].

جاءت هذه الحجّج في هذا القول متسقة وغير منفصلة، وكذلك كل حجة تقوم بتقوية الأخرى بفضل الرّابط الحجاجي "الواو":

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 472.
2- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 294.
3- نفسه، ج5، ص 292.

ح1: حياكم الله.
ح2: بياكم.
ح3: أدامكم. } حجّج
ح4: أحياكم.
ح5: أبقاكم.

فالرّابط الحجّاجي قام في هذا المثال بوصل الحجج وترتيبها لتقوية النتيجة وهي دعوة الشباب أن يصونوا عرض العروبة.

وفي الأخير بعد أنْ قمنا بتحليل بعض الرّوابط الحجاجية التي استعملها "الإبراهيمي" في خُطبه، نجد أنّه قصد منها الرّبط بين الحجج، والترتيب بينها حسب قوة أو ضعف الحجج المعروضة في الخطاب، ليقنع متلقيه .

نستنتج من خلال هذا الفصل أنّ "البشير الإبراهيمي" يهدف من خلال خطابه إلى إقناع المتلقي والتأثير عليه ومحاولة استمالته ليصل إلى مقاصده الحجاجية .

خاتمة

خاتمـــة:

وأخيرًا وبعد هذا العرض البسيط لموضوع "**الحجاج في خطب البشير الإبراهيمي -دراسة في الآليات البلاغية واللّغوية-**" استطعنا أنْ نصل إلى مجموعة من النتائج:

1/ الحجاج ظهر بمعانٍ مختلفة تُفضي إلى غاية واحدة وهي محاولة التأثير والإقناع ووصول المتكلم إلى مبتغاه.

2/ تعددت قضايا خُطب "الإبراهيمي" من دينية، سياسية وأدبية.

3/ نجد خطب "البشير الإبراهيمي" تحمل في طياتها طابعًا حجاجيًا خالصًا، يريد من خلالها الوصول إلى أغراضه من جهة والتّأثير وإقناع المتلقي من جهة أخرى، وقد تنوعت هذه الأغراض الحجاجية.

4/ اعتمد "الإبراهيمي" على الخطاب الحجاجي البلاغي واللّغوي، حتى يجعل خطابه مؤثر ومُقنعًا، لأنّ اللبس (الإضمار) والمجاز في الحجاج يُكسبه قوة حجاجية عالية، ورأينا هذا من خلال تحليلنا لبعض النماذج كالاستعارة والكناية والتشبيه والتمثيل والبديع والتّوكيد وأفعال الكلام...، هذه التي تُكسب القول درجة عالية من الإقناع والتّأثير.

5- اعتماد "الإبراهيمي" على القول الاستعاري لأنّه يُمثل أقوى الحجج، بالإضافة إلى الجانب الجمالي التي تُضفيه على الخُطب.

6/ يُمثل التشبيه في خطب "الإبراهيمي" أهم طرق الاستدلال التي لجأ إليها حجاجيًا من أجل التّأثير وإقناع المُتلقي.

7/ يلجأ إلى الكناية في المُحاجة لأنّ القول المُكنى عنه يجعل المتلقي حاضر الذهن للحصول على المعنى المتخفي.

8/ استخدام "الإبراهيمي" للبديع (الطباق، السجع والمقابلة) في مدونته لما له من الأثر في الخطاب في عملية إقناع المتلقي.

9/ اعتمد على الشاهد من القرآن الكريم لأنّه أقوى حُجّة، فالمتلقي عندما يسمع كلام الله لا يمكن أنْ يشك في صحته.

10/ كما اعتمدت المدونة على الآليات اللّغوية كالصفة (اسم الفاعل، اسم المفعول والصفة المشبهة) من أجل إفهام المتلقي.

11/ كما اعتمد "الإبراهيمي" على الرّوابط الحجاجية، وذلك من أجل انسجام خُطبه حجاجيًا من جهة وتوجيه خطابه وجهة قوية من جهة أخرى، كما رأينا كذلك أنّه استعمل التدرج في الحجج، وذلك لاستمالة المخاطب والتّأثير فيه.

12/ لجأ كذلك إلى أفعال الكلام كالاستفهام والأمر والنهي، ووجدناها أنّها توجه القول حجاجيًا.

وتبقى هذه المحاولة المتواضعة مجالاً مفتوحًا للنقد والتصويب وهي حلقة في سلسلة طويلة، نأمل أنْ نكون قد وُفقنا في بحثنا.

ونسأل الله التوفيق... وله الحمد من قبل ومن بعد...

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: المعاجم.

1- ابن فارس (أبو الحسين أحمد)، مقاييس اللغة، ج2، تح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1399هـ-1979م، مادة "حج".

2- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1990م، ص مادة [ح ج ج].

3- ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم)، لسان العرب المحيط، قدم له عبد الله العلايلي، تصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، مادة [خ ط ب].

ثالثًا: المصادر والمراجع.

*** الكتب باللغة العربية:**

1- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5.

2- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار المعارف، القاهرة، (دط)، 1963م، ج1، ج2.

3- محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، دار الأمة، الجزائر، (دط)، 2007م.

4- ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الشعر والكتاب، مجلد 1، تح: الشيخ كامل عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

5- ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، حققه وشرحه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1983م.

6- ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، القاهرة، مصر، (دط)، (دت).

7- ابن جني، (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تح: محمد النجار، دار الهدى، بيروت، لبنان، ط2، (دت).

8- ابن رشيق القيرواني (أبي علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، تح: صلاح الدين الهواري، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/1996م.

9- ابن رشيق القيرواني، (أبي علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، سوريا، ط5، 1981م.

10- أبو الحسين إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، عابدين، مصر، ط1، (دت).

11- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الآداب، الجزائر، ط2، 1988م.

12- أبو هلال العسكري، (الحسن بن عبد الله) الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1404هـ-1984م.

13- أبو هلال العسكري، (الحسن بن عبد الله)، الصناعتين، تح: علي محمد البحاوي، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، (دط) ،1371هـ/1952م.

14- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللّغة العربية، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1405هـ/1985م.

15- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار نهضة مصر، (دط)، 2001م.

16- أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الناشر وكالة المطبوعات، دار القلم، بيروت، لبنان، (دط)، 1979م.

17- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط7، 1418هـ/1998م.

18- الخطيب القزويني، (جلال الدين)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.

19- الخطيب القزويني، (جلال الدين)، التلخيص في علوم البلاغة، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1904م.

20- الزركشي، (بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، (دط)، 1427هـ/2006م.

21- الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود عمر)، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

22- الزمخشري، (جار الله أبي القاسم محمود عمر)، أساس البلاغة، دار الفك، بيروت، لبنان، (دط)، 1420هـ/2000م.

23- السكاكي، (أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد)، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ/1987م.

24- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار عربي للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م.

25- حازم القرطاجني، أبو الحسن، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربي للكتاب، تونس، (دط)، 2008م.

26- حمادي صمودي، من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1999م.

27- حميد آدم آثويني، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار النشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007م.

28- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط2، 2012م.

29- ديل كارينجي، فن الخطابة، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الأردن، ط1، 2001م.

30- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008م.

31- صابر الحباشة، التداولية والحجاج ومداخل ونصوص، صفحات للطباعة والنشر، دمشق، سورية، ط1، 2008م.

32- طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، ج1، دار المعارف، مصر، ط2، 1968م.

33- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء'، ط1، 1998م.

34- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980م.

35- عباس حسن، النحو الوافي، ج3، دار المعارف، مصر، ط3، (دت).

36- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، عالم الكتب، الأردن، ط1، 2014م.

37- عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة البنوية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012م.

38- عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1401هـ-1981م.

39- عبد القادر حسين، فن البديع، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1403هـ/1983م.

40- عبد القاهر الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن)، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، (دت).

41- عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، (د ب ن)، ط1، 1978م.

42- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ج1، جامعة منوبة، تونس، ط1، 2001م.

43- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج وتطبيقات، ميسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م.

44- عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.

45- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، 1931-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، 1983م.

46- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

47- عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1393هـ/1978م.

48- علي بوملحم، الأدب وفنونه، المطبعة العربية للطباعة والنشر، لبنان، (دط)، 1970م.

49- فضل عباس حسن، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان، الأردن، ط4، 1417هـ/1997م.

50- قدامى بن جعفر، (أبي الفرج)، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، 1406هـ-1980م.

51- كاهنة دحمون، الجملة الاعتراضية بنيتها ودلالتها في الخطاب الأدبي، دراسة في ضوء النظرية التداولية، دار الأمل، مخبر تحليل الخطاب، الجزائر، (دط)، 2012م.

52- محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 1996.

53- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002م.

54- محمد دراجي، المشرق العربي (مواقف الإمام الإبراهيمي)، مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.

55- محمد ديب الحاجي، النسق القرآني دراسة أسلوبية، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، السعودية، ط1، 1431هـ/2010م.

56- محمد زغينة، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، (دط)، 2005م.

57- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة نقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

58- محمد طهاري، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1992م.

59- محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبًا، البصائر، وهران، الجزائر، (دط)، (دت).

60- محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988م.

61- محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988م.

62- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (دط)، (دب)، 2002م.

63- مختار عطية، علم البديع ودلالات الاعتراض في شعر البحتري، دراسة بلاغية، دار الوفاء، القاهرة، (دط)، 2000م.

64- مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دار الطبيعة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005م.

65- مصطفى أمين علي الجارم، البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1979م.

66- مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، (دت).

67- يحي بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج2، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة المصرية، بيروت، ط1، 2002م.

68- يوسف حسن عمر، شرح الرضى على الكافية، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي، ط2، 1996م.

*** الكتب باللغة الأجنبية:**

1- Perlman et tyteca, traité de l’argumentation, édution de l’université de Bruxelles, 5eme edition, 1992.

2- Perlman, L’empire rhétorique et argumentation, édution librairie philosophique, Paris, 1977.

*** الكتب المترجمة:**

1- دومينيك مانغو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد حياتن، الدار العربية للعلوم، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م.

2- مورو فرانسوا، البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية، تر: محمد الولي وعائشة جرير، إفريقيا الشرق، المغرب، (دط)، 2003م.

رابعًا: المجلات والدوريات:

1- العيد جلولي، نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل، مجلة الأثر، العدد الخاص أشغال المتلقى الدّولي الرّابع في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، (د ت).

2- دلال وشن، تداولية الاستعارة الحجاجية لنص الرثاء، مرثية متمم بن نويرة، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب العربي، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، الجزائر، (دت).

3- سعدوني حمادي، الأدب والوعي القومي، آراء في ما يجب أنْ يكون، مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة دور الأدب في الوعي القومي، بيروت، لبنان، العدد 01، 1980م.

4- عبد الحفيظ بورديم، روعة البيان في كتابات الإمام الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر العدد 2، 2010م.

5- عبد القادر فضيل، التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر العدد 2، 2010م.

6- عز الدين الناجح، المفهوم من خلال الملفوظ الإشهاري الخطاب، دورة أكاديمية، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد 02، ماي 2007م.

7- عمار جيدل، أسس بعث الفعالية في فقه الإمام الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر العدد 2، 2010م.

8- عمر أبو أحمد بوقرورة، خصوصية الفكر عند الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر العدد 2، 2010م.

9- مبروك زيد الخير، الإمام الإبراهيمي في شعر محمد آل خليفة، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر العدد 2، 2010م.

10- محمد إبراهيم الكتاني، الإمام البشير الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر العدد 2، 2010م.

11- محمد الصالح الصديق، الإمام الإبراهيمي، وفهم القرآن، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر العدد 2، 2010م.

12- محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وبيرلمان، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 2، أكتوبر ديسمبر 2011م.

13- محمد بن قاسم بوحجام، من أساليب السخرية في أدب الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ع2، 2010م.

14- هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد 5، مارس 2006م.

15- هدى وصفي، في فن الحجاج والجدل، جامعة عين الشمس، كلية الألسن، القاهرة، 2002م.

خامساً: الرسائل الجامعية.

1- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، منوبة، جامعة تونس، كلية الأدب.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة ..... أ – د

الفصل الأول: الحِجاج في إطاره النّظري.

1- تحديد مفهوم الحِجاج 06

1-1- الحجاج لغــةً.....06

1-2- الحجاج اصطلاحًا.....08

2- مفهوم الحِجاج في الفكر الغربي والعربي قديمًا 11

2-1- الحِجاج في التراث الغربي القديم..... 11

2-2- الحِجاج في التراث العربي القديم..... 15

3- مفهوم الحِجاج في الفكر الغربي والعربي حديثًا 21

3-1- الحِجاج في الفكر الغربي الحديث..... 21

3-2- الحِجاج في التراث العربي الحديث..... 26

4- ضوابط وخصائص النّص الحِجاجي 30

4-1- ضوابط النص الحِجاجي 30

4-2- خصائص النص الحِجاجي..... 31

5- آليات الحِجاج 32

5-1- الآليات البلاغية..... 33

5-2- الآليات اللّغوية..... 43

الفصل الثاني: فنّ الخطابة وقضاياها عند البشير الإبراهيمي.

1- فن الخَطابة عند البشير الإبراهيمي 47

1 - 1 - مفهوم فن الخَطابة.....48

1 - 2 - أنواع الخَطابة عند البشير الإبراهيمي 50

1 - 3 - خصائص الخطابة عند البشير الإبراهيمي 52

2 - قضايا الخَطابة عند البشير الإبراهيمي 55

2 - 1 - القضايا الدّينية.....56

2 - 2 - القضايا السياسية 64

2 - 3 - القضايا الثقافية والتّربوية.....72

الفصل الثالث: آليات الحِجاج في خُطب البشير الإبراهيمي

1 - عناصر العملية التخاطبية 83

1 - 1 - المُرسل (المتكلم).....84

1 - 2 - المَرسل إليه (المُتلقي) 85

1 - 3 - القصد (المقام).....86

2 - الآليات الحِجاجية 86

2 - 1 - الآليات البلاغية.....86

2 - 2 - الآليات اللّغوية 118

خاتمة.....136

قائمة المصادر والمراجع 139

فهرس الموضوعات 149

ملخص البحث

ملخص البحث

يروم البحث الموسوم بعنوان: "الحِجاج في خُطب البشير الإبراهيمي –دراسة في الآليات البلاغية واللّغوية" بدراسة الخُطب من خلال الآليات الحِجاجية البلاغية واللّغوية لإقناع المتلقي.

يَهدف هذا البحث على إبراز الهدف الحِجاجي في خُطب "البشير الإبراهيمي" وبيان مدى أهميتها في التّأثير واستمالة وإقناع المتلقي، وجاءت هذه الدّراسة وِفق خطة تتكون من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

الكلمات المفتاحية: الحِجاج، الإقناع، الخَطابة.

Summary :

The research entitled "The Pilgrims in Al-Bashir Al-Ibrahimi Speeches - A Study in the rhetorical and linguistic Mechanisms" deals with the study of sermons through rhetorical and rhetorical mechanisms to convince the recipient. The purpose of this research is to highlight the objective of Hajj in the speeches of Al-Bashir Al-Ibrahimi and to indicate its importance in influencing, persuading and persuading the recipient. This study is based on a plan consisting of an introduction, three chapters and an end.

Keywords: Pilgrims, Persuasion, Public Speaking.